18me année No 885

LeCaire - 10 — 6 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٨٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ رمضان سنة ١٣٦٩ — ١٩ يونية سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

أدب المجنون

يسأل فرنسوا موريك ثلاثة أسئلة عن أدب المجون، أولها عن نتائجه، وثانيها وثالثها عن أسبابه. فأما سؤاله عن نتائجه فما أظن جوابنا عنه يختلف عن جواب زملائنا الأوربيين فى شىء؛ لأن خطر الأدب الماجن على الفرد والجماعة وعلى الأدب نفسه لا يماري أحد فيه ولا منا ولا منهم. وهل يماري أحد فى أن البهيم الذى يسكن الانسان فى جسد واحد إنما يروضه ويكبحه الأدب القائم على العقل والدين والعلم، تارة بالفطام واللجام، وتارة بالسياسة واللاينة، فإذا فسدت طبيعة هذا الأدب، فانقلب القيد سوطا يلهب، والشكيمة مهمازاً يخث، أفلت البهيم من ربقته فافترس الانسان الذى يعيش معه، وحطم المجتمع الذى يضطرب فيه. والأدب الذى أطلق هذا البهيم بتمليق غرائزه وتحريض شهواته سينتهى أمره لا محالة إلى أن يصير آفة تتقى وجرثومة تحارب؛ لأن فى ان آدم محكمة داخلية نسميها الضمير، إذا تعطلت حينا فلن تتعطل أبد الدهر

وأما سؤالاه عن أسبابه، فالأمر بيننا وبينهم فى جوابهما جد مختلف. ليس فى أدبائنا أديب تلقى عليه التبعة فى انحطاط الأدب الحديث كسارتر، وليس فى أدبنا مذهب يساعد على هذا الانحطاط كالوجودية؛ إنما هى العدوى انتقلت إلى مصر من مكان الوباء فصارفيها المرضى وحملة المرض. ولا أقصد بالعدوى عدوى جنوح المجون، فان المجون كما قلت أصيل فى كل نفس، عريق فى كل أدب؛ إنما أقصد بالعدوى عدوى نشره فى الصحف والكتب والتمثيل بنوعيه المحقق والمصور.

ليس على المرء من حرج أن يماجن صحبه الأدنين فى مجلسه الخاص؛ وليس عليه من حرج أن يعرى فى غرفة نومه أو فى حمام بيته؛ وإنما الحرج كله أن يماجن فى ملأ أو يعرى فى شارع. والذين يسمعونه مفحشا ولا يعترضون، أو يرونه عاريا ولا يعرضون، لا يقلون مجونا ولا جنونا عنه

فالمسألة فى أدب المجون مسألة ضمير فى الكاتب والناشر، وكرامة فى القارىء والناظر. فى وجودهما عدمه، وفى عدمهما وجوده.

كنا قبل أن نعرف أوربا نتحرج أن نرى المرأة فى نافذة أو نماشيها فى طريق، فأصبحنا نقبل أن نواجهها فى دكان وأن نجالسها فى حان! وكنا قبل أن نقلد أوربا نذوب خجلا إذا سقط قناع المرأة عن استحياء، أو انحسرت ذراعها عن غفلة، فأصبحنا نتحرق شوقا إذا كشفت ظهرها فى مرقص، أو خلعت ثوبها على شاطىء!

ومن أعجب العجب أن نرضى رضا التبطلة واللذة إذا رأينا الأمهات والزوجات والبنات عاريات على (البلاج)، ثم نغضب غضب التقى والورع إذا رأينا الراقصات والممثلات والمومسات عاريات على الورق! لماذا نقبل ما يفعل فى الشواطىء والحفلات، ولا نقبل ما يقال فى الصحف والمجلات؟!

إن الطبيعة موضوع الفن؛ وإن الحياة مادة الأدب. والفنان الحق يصور بحق، والأديب الصادق يعبر بصدق. فاذا شئتم أن يطهر أدبكم من المجون والبذاء، فطهروا مجتمعكم من الفجور والرياء. إن الأدب صورة، جمالها من جمال الأصل، وقبحها من قبحه!

احمد حسن الزيات

صورة من الحياة :

قلب أب!

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ١ —

أتذكر - ياصاحبي — يوم أن عرفتك أول مرة لحن لك قلبي ، وصبت إليك نفسي ، ورقت مشاعري ، يوم أن كنت عند مشرق الحياة صبياً ضاوي الجسم ناحل العود ممروق العظم ، تهاوى من ضعف ومن هزال ، وتساقط من ضنى ومن حزن ، فلا تجد اليد الرفيقة التي تمسح على أشجانك ، ولا القلب الرحيم الذي يعطف على أسقامك ، لأنك كنت قد فقدت أمك فما استطاع أبوك أن يصبر على الوحدة ، وإنه ليحس التشعث والضياع ، ويستشعر الضيق والملل ، والدار من بين يديه خاوية تصفر ، والخادم من أمامه لا ترعوى عن تراخ ولا عن إهمال ، والدنيا في ناظريه تضطرب في حيرة وقلق ، وقلبه يخفق بالأمل والرغبة وهو شاب في ميعة الصبا ووفرة المال ، تتدفق في عروقه ثورة الشباب وتتألق في أعصابه دواعي الفتوة ... وضاقت به الحيلة ، فأطاق يتلمس الخلاص في فتاة من ذوي قرابته يبوئها عرش داره وقلبه معاً لتملأ فراغاً خلفته أمك منذ شهور وشهور. وجاءت الزوجة الجديدة فأحسست كأنها تزحلك بالمنكب وتدفعك بالقوة وتغلبك بالحيلة ، لتستلبك من دارك ومن أبيك في وقت معاً ، فحملت لها بغضاً ؛ ثم انطويت على خواطر مضطرمة يتأجج لظاها في ذهنك .

واستحالت خفة الصبا فيك إلى رزانة كرزانة الشيخ عركته الخطوب وصقلته الحوادث ، وتعكر صفو الطفولة في نفسك مثل هم الرجل ينوء كاهله تحت عبء السنين العجاف ؛ فأزوبت تكتم أشجاناً غمرت حياتك على حين غفلة منك ، وأنت ما تزال عند مطلع العمر .

وأفزع أباك أن يرى حالك تتغير ، فتركن إلى الصمت وأترابك هناك في الشارع يملأون الدنيا ضجة وصياحاً ، وتسكن إلى الوحدة والدار تموج بالأهل من كل سن فلا تهدأ إلا ساعة القيلولة ، وتستطيب الخلوة وأنت في سن المرح والحركة تحبو إلى الشباب في غير ريث ولا إجهال ، وتنفض يديك من حاجات الفيط والدار فلا تسلى الهم بالعمل ولا تسرى عن النفس بالشغل . فجلس إليك — في خلوة — يحدثك حديث تجاربه ، ويوحي إليك — وأنت أكبر منه نظرة — أنك رب هذا المال وسيد هذه الدار وصاحب هذا السلطان ، ثم أقامك على بعض شأنه لترضى ، فانفرجت أسارير نفسك وهدأت جائشة قلبك وانجابت عنك غمة أوشكت أن تعصف بك في غير رحمة ولا شفقة .

ورحت أنت تبسط سلطانك على شئون الدار في شطط لا يعرف الاعتدال ، وتصرف الأمر في حمق لا يعرف العقل ، وتاق الرأي في طفولة لا تعرف الحصافة ، غير أن أباك كان من ورائك يهدهد من غلوائك في رفق ، ويكبح من جماح أهوائك في لين .

لقد كانت زوجة أبيك — ولا ريب — تطمع أن تكون سيدة الدار وصاحبة السلطان ، وهي ترى الدار تنهق بالنعمة وتشرق بالثراء ، ولكنك كنت تسد أمامها المنفذ في قسوة ، وتغل يدها في غلظة ، فما تنال من مال أبيك إلا بقدر لا يشبع النهم ولا يشفي الغلة ، فراحت ترقبك في غيظ يحمل في ثناياه مقتاً وكراهية . وأبت أنوثتها أن تستسلم أو تخضع فهبت تحتال للأمر في مكر وخديعة ، واندفعت تبث سمومها في قلب أبيك في هوادة وفي رفق ؛ وأبوك يلقي السمع حيناً ويغضي عن الحديث حيناً ، والشيطانة لا تهدأ ولا تستكين ، وأنت في لهو يشغلك الغرور وتعميك الغواية .

واستطاعت الزوجة أن تجذب إليها الرجل رويداً رويداً ليناى عنك رويداً رويداً ، وأنت في لهو يشغلك الغرور وتعميك الغواية .

وسرت في أضلاع الدار ثورة مكفوفة توشك أن تنفجر

فتبعثر الهدوء والراحة ، وتذرى السلام والأمن : فأبوك يجلس إلى زوجته كل مساء فى خلوة يستمع إلى حديثها فى صمت ، وهو يستشف من خلال كلماتها روح الخذل والخداع آناً ، ويلمس فيه سمات الصراحة والحق آناً ، فيتهم زوجه ويرميك أنت بالطيش والنزق . والزوجة تلبس ثوب الثعلب فتلقاك فى بشاشة واستبشار على حين أنها تنشر من حواليك شباكاً محبوكة الأطراف لتحكر صفو ما بينك وبين أبيك ، وهو يلمس ويتفاد . وأنت ... أنت أيها الصبي ... لا يستطيع عقلك الصغير أن ينحط إلى بعض ما يدور حولك مما ينسجه عقل شيطان حصيف مرن على الداهنة والمكر ، فلا ترى ولا تسمع ، غير أنك تتشبث بسلطانك فى الدار مثلما يتشبث الطفل بلعبة عزيزة على نفسه يخشى أن يستلبها مارد جبار من بين يديه الصغيرتين .

وسافر أبوك — ذات مرة — إلى المدينة لبعض شأنه ، فجلست أنت فى مكانه من الدار وقد صورت لك أخيلتك الطائشة أنك قد لبست ثوب الرجل الذى فيه ، فاندفعت تأمر فى كبرياء وجفوة ، والفتاة تبسم فى عبث ساخرة من نزواتك الطفلية ولكنها لم تمتنع على رغبتك خشية أن تندلع من حماقتك نار حامية يلتهم أوارها سعادة تتوجاها فى هذه الدار ، فخضعت وهى تسر فى نفسها أمراً . وجاءك الغداء — بعد ساعة — ينضم على أطايب الطعام : على البيض والسمن والزبدة والجبن والعسل و ... مما يتحلب له الريق وتثور له شهوة البطن ... وجلست إلى الطعام ، بين أخويك ، تريد أن تشبع النهم والكبرياء فى وقت معاً .

ورأيت أباك يدلف إلى الدار — فى هذه اللحظة — فقلت لأخويك ، « انتظراحتى يأتى أبى فينعم معنا بهذا الطعام الشهى ، فهو — ولا شك — فى حاجة إليه بعد هذا الضنى والنصب . إنه لا يلبث أن يحضر بعد أن ينفى عنه وعثاء الطريق وعناء السفر » فأمسكا عن الطعام وأمسكت

ياعجبا ! هذه هى نوازع الصبية ؛ صافية كالجوهر الخالص ، نقية كالسلسبيل الطاهر ، لطيفة كالظل الوارف ساعة الهاجرة ، ندية كهبات نسيم الفجر الساحر ، آه ، لو عاش الانسان عمره فى سريرة الصبى وشعور الطفل ، إذن لتوارت من الحياة شوائب تزعج النفس وتفزع القلب !

وخرج أبوك — بعد لحظات — من لدن زوجته يستحث الخطو نحوك وقد اكتسى وجهه بغبرات من الحزن والضيق لم تشهدها وأنت تهش للقياه . وأفزعك أن ترى على وجهه أثر الغضب فأمسكت عن الطعام وأخذت تتململ فى ثورة عارمة بأمر الخادم أن يرفع الطعام من بين يديك أنت وأخويك أحوج ما تكونون إليه . آه لقد وسوست الشيطانة ، وأذهلتك المفاجأة فشرقت بريقك ، وماتت الكلمات على شفتيك ، ودارت الدنيا بك من شدة الصدمة فسقطت منهالكاً على كرسى بجوارك ، وآذاك أن يبدو ضعفك بين يدى أخويك الصغيرين وأنت — كرأيك — رب المال وسيد الدار وصاحب السلطان ، فتماسكت تماسكت لترى أباك والطعام يتواريان فى طرفة عين ، فنظرت إلى أخويك من عبرات حرى تتدفق على خديك تنطق بالأسى واللوعة واليأس جميعاً .

وبكى أخواك الصغيران ، فاحتضنتهما فى عطف وحنان لتشعرهما بأنك أنت أمهما حين ماتت الأم ، وأنك أنت أبوهما حين قسا الأب . واختلطت عبرة بعبرة ، وخفق قلب لقلب ، وتعانقت زفرة وزفرة ، واجتمع الرأى على أمر ، ثم اندفع الركب يسير

وبدا لك — ياصاحبى — إذذاك ، أن أباك كان يختلك عن نفسك ، وأن زوجته كانت تسخر من طفولتك ، وأنت لست شيئاً فى هذه الدار .

وتبعتكم — ياصاحبى — بعبراتى ، وأنا — إذذاك — صبى مغلول اليد واللسان ، فرأيت أطفالا ثلاثة شردتهم القسوة فنزعوا عن دار أبيهم فى ذلة وانكسار ، وقد هدم الأسى وأضناهم الحزن وأرهقهم الجوع ، على حين قد ترفعوا عن الشكوى فأبوا على وسموا على الخسف وتبعتكم بعبراتى ، ولكن إلى أين — ياصاحبى — إلى أين ؟

كامل محمود حبيب

ابن تيمية والمنطقيون

للاستاذ ابراهيم الابياري

أنعرف الشيخ المحجاج المنلب حجة الحنابلة غير مدافع أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. يعرفه الشوكاني محمد بن علي فيقول: أما لا أعلم بعد ابن حزم[1] مثله، وما أظن الزمان سمح ما بين عصري الرجلين عن سابهما أو بقاربهما.

ويسبقه ابن حجر أحمد بن علي فيقول فيه: وفاق الأقران وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول.

ومن قبله يقول الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد الذهبي. واللفظ يكاد يكون لي: كان آية من آيات الله، السنة نصب عينيه، لم ير أشد منه استحضاراً للمتون، ولا أقدر في مسائل الخلاف.

وقريب من هذا ما قاله ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ثم ابن رجب الحنبلي عبد الرحمن بن أحمد.

وغير هذا فقد أفرد له غير واحد كتاباً، فخصه المقدسي محمد ابن أحمد بالعقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وصفى الدين البخاري بالقول الجلي في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية الحنبلي، والكرمي مرعي بن يوسف بالكواكب الدرية في مناقب الإمام ابن تيمية.

وتقرأ المستشرقين عنه ما كتبه «غولد زيهر» في دائرة المعارف. ثم تلك الدراسة الممتعة الجامعة للأستاذ الكبير «هنري لاوست».

وإن لم تغن فاليك جملة مما ألف الرجل تنبيك عن همة لا تفتر وقلم لم يجف وعمر حافل معمور الأيام والليالي. ذكروا أنها تزيد على أربعة آلاف كراسة، كما ذكروا أنها بلغت ثلثمائة مجلد.

أسمى منها. الجوامع في السياسة الإلهية أو الفتاوى، والإيمان. والجمع بين النقل والعقل، ومنهاج السنة، والفرقان في أولياء الله وأولياء الشيطان. والواسطة بين الحق والخلق، ومجموع رسائله، وقد أحصيت فيه تسعاً وعشرين رسالة. ثم كتابه الذي هو قطعة من عقله وفكره «الرد على المنطقيين».

ابن تيمية من هؤلاء النفر الذين أكدتهم عقولهم وعاشوا لما يدينون به ينفحون عنه ويجارون به، يستمرئون ما يعافه الوادعون، ويحلو لهم ما يمر على مذاق الخاشعين، يصمدون للأحن لا يهنون، وللنكبات لا يرعون، ثم إذا هم بأخرة قد اجتمع الناس لهم على الرأي الذي كافحوا له وغالبوا.

وكذلك كانت حياة ابن تيمية، سعى به بيبرس الجاشنكير، فضمه السجن أعواماً فما استكان، وكأنه ما خرج منه إلا ليعود إليه ثانية وثالثة، وهو هو إلى أن مات رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ وإذا الألسن كلها ثناء، وإذا ما كتب وألف متعة الأعين، وإذا ما رأى حديث المجالس.

جلست إلى ابن تيمية وهو آخذ بخناق المنطقيين في كتابه «الرد على المنطقيين» يبادلهم بالرأي رأياً، وبالحجة حجة، فأنست بالرجل في عقله وتفكيره، وما كنت أعرف قبل ذلك أن ابن تيمية يقوى لأرسطو فيوهن من مقاييسه ويضعف من أدلته.

وأنت إذا استمعت إلى ابن النديم في الفهرست حفظت عنه كتب أرسطو الثمانية في المنطق وهي، المقولات، والعبارة، وتحليل القياس، والبرهان، والجدل، والمغالطون، والخطابة، والشعر. ثم إذا جريت معه قليلا عرفت من ترجم هذه الكتب إلى العربية ومتى نقلت.

وتعجب حين لقى جمهرة من المفسرين والمحدثين والفقهاء كتاب المنطق لأرسطو في حذر، وكادوا ينسبون من نظر فيه إلى الزندقة. ولن ننسى رسالة السيوطي جلال الدين في تحريم علم المنطق، ثم لا ننس تلك الحرب الصاخبة التي حمي أوارها بين المنقوليين والمعقوليين والتي خرج منها علماء المعقول زنادقة ملحدين،

---

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري. عالم الأندلس في عصره. وفيه يقول ابن الفرضي: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين. وكانت وفاته سنة ٤٥٦ هـ

دراسات أدبية :

موقف النقـــاد من الشعر الجاهلي

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجة

١ — الشعر الجاهلي الذي اتخذه الشعراء في مختلف العصور أصلا يحتذون حذوه ، وينهجون منهجه ، ويبنون عليه ويقلدونه في مناحيه الفنية والأدبية تقليدا كبيرا ، هذا الشعر هو الذي نريد أن نتحدث عن موقف النقاد منه وآرائهم فيه ، ومذاهبهم حياله ، حديثاً يجمع مع الايجاز أطراف هذا الموضوع المتشعب الدقيق .

٢ — وأول ما نذكره في هذا البحث آراء الجاهليين أنفسهم في الشعر الجاهلي ونقده ، وهذه الآراء كثيرة متعددة ، طائفة منها تتحدث عن منزلة بعض الشعراء الأدبية في الشعر ، وطائفة أخرى فيها نقد لبعض الشعراء .

فأنت تعلم أن كل قبيلة في الجاهلية كانت ترفع منزلة شاعرها على الشعراء ، وتذهب إلى أنه إمامهم وأولهم في دولة الشعر ، فكان اليمنيون يذهبون إلى أن امرأ القيس هو إمام الشعراء ، وكان بنو أسد يذهبون إلى تقديم عبيد ، وتغلب تقدم مهلهلا ، وبكر تقدم المرقش الأكبر ، وإياد ترفع من شأن أبي دؤاد وهكذا . وكان أهل الحجاز والبادية يقدمون زهيرا والنابغة ، وأهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحدا ، وأهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحدا ، وكان العباس بن عبد المطلب يقول عن امرىء القيس هو سابق الشعراء ، ورأى لبيد أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفة ثم نفسه .

كما تعلم أن الجاهليين أنفسهم كانت لهم آراء كثيرة في نقد الشعراء . فكان النابغة تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ .

وعز على صفوة من المفكرين أن ينتهي الخلاف بين النقليين والعقليين عند هذا فشمروا للتوفيق بين الرأيين . مؤولين ما استطاعوا إلى التأويل سبيلا ، متخففين من أقوال الحكماء ما لا يجد دليله من كتاب أو سنة ، فمنهم من أبعد ومنهم من قارب . وقد كانت محاولات أدلى فيها بالدلو إخوان الصفا ومن لف لفهم كالباطنية والإسماعيلية . وإذا ذكرنا الإسماعيلية ذكرنا ابن سينا الذي تربى في حجورهم وغذوه بتعاليمهم وكان له جولة في هذا الميدان كان فيها كالظل لأرسطو .

وتمخضت الأيام عن شيخ من شيوخ الإسلام نشأ والباطنية في عنفوانها فجال في هذا الميدان جولات على نهج من التوفيق والجمع بين الرأيين ، أسلم مغبة وأقرب إلى إنصاف أهل السنة وإرضاء المتدينين ، وكان هذا الشيخ الحجة أبا حامد الغزالي .

ويمضي الغزالي عام خمس بعد الخمسمائة والعالم الإسلامي في لهفة الى مفكر يقف لأرسطو في منطقه موقفا أكثر إرضاء وأقوى إشباعا ، فقد انطوت النفوس على شيء لم تملك برهانا يغلبه وحجة تزلزله ، ومضت مع راسخ ما تؤمن به وتعتقد تغالب ما يوسوس به الفكر ويهمس ، ومن لا تجد بين يديها مفكرا يواجه أرسطو ويقف له .

وفي عام واحد وستين وستمائة من الهجرة ظفرت « حران » بمولود اسمه أحمد ، لم يكن العالم يقدر أن فيه العبقرية المنشودة ، ولكنه ما شب وترعرع وبدت بوادره حتى علقت به الآمال في ذلك المجال ، ولم يكن غير ابن تيمية .

ومن قبل ابن تيمية كان أبو البركات البغدادي يحاجة أرسطو في منطقه وصال معه صولات . وتكاد تظفر بأول فرسان هذا الباب ، وكتابه المعتبر فيه الكثير من هذه المواقف[1] .

إلا أن ابن تيمية ، وان جاء لاحقا ، يكاد يكون المحجاج المعول عليه والند المكافىء ، ويودي أن أشرك القارىء معي فيما أفدت ، ولكني لن أجد في صفحات الرسالة ما يسعف ، وحسبي من ذكره ما يحفز كل مفيد أن يرجع إليه ، ليعرف من ابن تيمية ما عرف لأرسطو .

ابراهيم الابياري

(١) هذا الكتاب طبعته دائرة المعارف العثمانية.

فتأتيه الشعراء وتنشده أشعارها ، أتاه الأعشى يوما فأنشده ، ثم أتاه حسان فأنشده ، فقال : لولا أن أبا بصير — أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الجن والأنس ، فقال : حسان : والله لأنا أشعر منك ومن أبيك وجدك ؛ فقبض النابغة على يده وقال: يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول :

فانك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم أنشدته الخنساء :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

فلما بلغت قولها :

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

قال : ما رأيت امرأة أشعر منك ، قالت ولا رجلا

وحكومة أم جندب الطائية بين امرىء القيس وعلقمة الفحل الشاعرين ، وتفضيلها علقمة على زوجها امرىء القيس ، مشهورة ولا داعي لذكرها ، فلها حديث آخر إن شاء الله .

ومر امرؤ القيس بكعب وأخويه الغضبان والقمقاع ، فانشدوه فقال إني لأعجب كيف لا تمتلىء عليكم نارا جودة شعركم ، فسموا بني النار .

وروى المرزباني في كتابه « الموشح » إن الزبرقان وعمرو بن الأهتم وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدي تحاكموا إلى ربيعة بن حذار الأسدي الشاعر في الشعر ، أيهم أشعر ، فقال للزبرقان : أما أنت فشعرك كلحم أسخن ؛ لا هو أنضج فأكل ، ولا ترك نيئا فينتفع به . وأما أنت يا عمرو فان شعرك كبرود حبر يتلألأ فيها البصر ، فكلما أعيد فيها النظر ، نقص البصر . وما أنت يا مخبل فان شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم . وأما أنت يا عبدة فان شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر .

كما روى أيضا أن هؤلاء الشعراء اجتمعوا في موضع ، فتناشدوا أشعارهم ؛ فقال لهم عبدة ! والله لو أن قوما طاروا من جودة الشعر لطرتم ، فاما أن تخبروني عن أشعاركم وإما أن أخبركم ؛ قالوا : أخبرنا ، قال : فاني أبدأ بنفسي: أما شعري فمثل سقاء شديد وغيره من الأسقية أرسع منه ، وأما أنت يا زبرقان فانك مررت بجزور منحورة فأخذت من أطايبها وأخذت

إلى غير ذلك من مواقف النقد والنقاد للشعر في العصر الجاهلي ؛ والتي لا تخرج عن الاستحسان أو الاستهجان للشعر والشعراء .

٣ — وجاء الإسلام فكان له ولرسوله الكريم موقف جليل من الشعر الجاهلي ، أنكر بعضا وعرف بعضا ؛ أنكر هذا الشعر الذي يناقض الأخلاق الكريمة والمثل العليا ، من الغزل الفاحش ، والهجاء الكاذب ، والمدح المغرق ، والفخر المعتمد في الغلو والمبالغة ؛ وعرف هذا الشعر الذي يدعو إلى الفضائل والأخلاق والدين ، ويحث على الأدب والطموح وأداء الواجب وحب الجماعة والتضحية في سبيل الأمة والإنسانية ؛ فكان هذا الموقف الخالد للإسلام ونبيه العظيم توجيها جليلا لرسالة الشعر ، وتهذيبا نبيلا للشعراء ليسموا بفنهم الرفيع إلى مجال الطهر والخير ، ومجال الحق والعدل والحرية والنور ، وكان نقداً عميقاً للشعر والشعراء الجاهليين ، وإنكاراً لاتخاذ الشعر وسيلة للكسب وظهر أثر الإسلام والقرآن في تهذيب أسلوب الشعر وألفاظه ، وفي البعد به عن الحوشية والغرابة وطبعه بطابع القوة والجلالة والروعة مع الحلاوة والبلاغة والسلاسة . كما ظهر أثر القرآن والحياة الجديدة في عقلية الشعراء وتفكيرهم ومعانيهم وخيالاتهم

٤ — وفي عصر دولة بني أمية انتشرت العصبيات ، وكثرت الخلافات السياسية والدينية ، وتغير نهج حياة العرب وتفكيرهم ، فعادوا إلى مذاهب الجاهليين في الشعر ، واتخذوه أداة للدفاع عن الرأي والعقيدة ، ولسانا لإذاعة محامدهم ومفاخرهم ، وشجعوا الرواة على رواية الشعر الجاهلي ، والشباب على درسه وتعلمه والتأدب بأدبه ، ووضعت في هذا العصر أصول النحو العربي ، فأخذ العلماء ينقدون الشعر الجاهلي نقدا يتصل بالأعراب ، « كان ابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهم ، وكان عيسى يقول: أساء النابغة في قوله :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

ويقول موضعه : ناقما » (١)

٥ — ومن أشهر رواة الشعر الجاهلي ونقاده في القرن الثاني

(١) ٤١ الموشح للمرزباني و ١١ و ١٢ ابن سلام

الهجرى . أبو عمرو بن العلاء البصرى م ١٥٤ هـ ، وحماد « الراوية » الكوفى (٧٥ – ١٥٦هـ) ، وخلف « الأحمر البصرى م ١٨٠ هـ ، ويونس البصرى م ١٨٢ هـ ، والمفضل الضبى م ١٨٩ هـ وهو أقدم من جمع المختار من شعر العرب فى كتاب « المفضليات » وأول من فسر الشعر بيتا بيتا . ويقال إنه أول من جمع أشعار الجاهليين وإن كان الراجح أن حماد اسبقه فى هذا الميدان. ومنهم ابن السكيت م ٢٠٤ ، وأبو زيد الأنصارى صاحب كتاب الجمهرة م ٢١٥ هـ ، وأبو عبيدة البصرى م ٢٠٩ هـ صاحب « النقائض » و« مجاز القرآن » ، والأصمعى البصرى م ٢١٦ هـ (٢)

كان أبو عمرو بن العلاء أشد الناس إكبارا للجاهليين وتعظيما لشأنهم ، جلس إليه الأصمعى عشر سنين فما سمعه يحتج ببيت إسلامى . ويروى عنه : لو أدرك الأخطل يوما واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً . وكان لا يعد الشعر إلا للجاهليين ، وكان كما يقول ابن سلام فى طبقات الشعراء : أشد الناس تسليما لهم

وكان المأمون على رغم ثقافته الواسعة يتعصب للأوائل من الشعراء ، ويقول : انقضى الشعر مع ملك بنى أمية

وكان الأصمعى مع تحامله على المحدثين وشعرهم معتدلا فى عصبيته للشعر الجاهلى ، كان يحب الجيد منه ، وينقد الردىء ، عاب امرأ القيس فى قوله فى وصف الفرس :

وأركب فى الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر

والخيفانه فى الأصل هى الجرادة وتشبه بها الفرس فى الخفة ،

قال الأصمعى : شبه شعر الناصية بسعف النخلة ، والشعر إذا غطى العين لم يكن الفرس كريما ، كما عاب غير امرى القيس من الشعراء . وكان يقول : ختم الشعر بالرماح ، وهو شاعر أموى مشهور

٦ — وفى القرن الثالث الهجرى نجد النقاد فى موقفهم من الشعر الجاهلى طائفتين :

فطائفة تعجب بالجاهليين وشعرهم إعجابا شديدا ، ولا ترى الشعر إلا لهم ، ومن هؤلاء ابن الأعرابى م ٢٣١ هـ ، وكان يزرى بأشعار المحدثين ويشيد بشعر القدماء . وكان يعيب شعر أبى نواس وأبى تمام ، ويقول : ختم الشعر بابن هرمة . وقال فى بشار : والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير من الشعراء . ومنهم أيضا إسحاق الموصلى م ٢٤٠ هـ ، وكان فى كل أحواله ينصر الأوائل ، وكان شديد العصبية لهم ، وكان لا يعتد ببشار. ولم يكن موقفه قاصراً على الشعر وحده ، بل كان كذلك فى الغناء ، كان يتعصب للغناء القديم ، وينكر تغييره ويعظم الأقدام عليه . ومثل ذلك التعصب للقديم موجود فى الآداب الأوربية ، فقد كان هوراس الشاعر الرومانى يرى أن شعراء اليونان هم النماذج التى يجب أن تدرس ليلا ونهاراً ، فان الشعر ينبغى أن ينظم كما كانوا ينظمونه . واعتذر الباقلانى عنهم بأنهم إنما كانوا يميلون إلى الذى يجمع الغريب والمعانى . واعتذر ابن رشيق عنهم بحاجتهم إلى الشاهد والمثل وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون . ولكن الجرجانى فى الوساطة يذكر أن ذلك أثر لتعصب علماء اللغة ورواتها للشعر القديم ، وإنكارهم لفضل المحدثين وشعرهم . (٤٩ و ٥٠ وساطة ط بيروت)

وطائفة أخرى من النقاد حكموا الذوق الأدبى والطبع وحده فى الشعر ، وحكموا بالفضل لمن يستحقه ، جاهليا كان أو إسلاميا أو محدثا ، فلم يفضلوا الجاهليين لسبقهم فى الزمن ، ولم يغضوا من شأن المحدثين لتأخر عصرهم . ومن هؤلاء : الجاحظ م ٢٥٥ هـ وابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ والمبرد م ٢٨٥ هـ وابن المعتز م ٢٩٦ هـ

يقول ابن قتيبة فى أول كتابه الشعر والشعراء : « ولا نظرت إلى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين ، وأعطيت كلا حقه ، ووفرت عليه حظه ؛ فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب عنده إلا أنه قيل فى زمانه ، ورأى قائله ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده وجعل كل قديم منهم حديثا فى عصره ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل يعدون

(٢) كان لهؤلاء الرواة أثر كبير فى الشعر الجاهلى، فقد وضعوا الجاهليين فى طبقات ، ولم يتركوا شاعرا مشهورا من الجاهليين إلا رأوا فيه رأيا ، واهتموا فوق ذلك بجمع الشعر وروايته وتدوينه

الشخصية والفردية

للاستاذ محمد محمد علي

كلمتان كثيرا مايخلط بينهما ، فتستعمل إحداهما فى موضع الأخرى ، وفى الوقع أن هناك اختلافا بينهما .

فالقدماء الأقدمون أن الشخصية personality شىء لا يمكن إدراك كنهها أو تحليلها . إنما هى مجموع صفات الفرد ، الموروثة والمكتسبة ، فتشتمل على شكله الظاهرى ودرجة ذكائه وثقافته واستعداداته ومواهبه ، والمثل الذى يستهدف اليها ، والمبادىء التي يعتنقها ، والعادات التى يكتسبها ، كل تلك العناصر والمقومات تؤلف الشخصية (١) . وأحدث تعريف للشخصية هو أنها نظام متكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية ، التى تعين هوية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد تميزا بينا . وللشخصية جانبان : جانب ذاتى يعبر عنه بالانية le moi أى شعور الشخص بذاته ، وهذا الشعور يتطور من الشعور بالذات الجسمية فالنفسية والاجتماعية . والجانب الآخر موضوعى ، ويعرف بالخلق character وهو نظام متكامل من السمات والميول النزوعية تتيح للفرد أن يسلك — إزاء المواقف الخلقية وأوضاع العرف — سلوكا متفقا مع ذاته ، على الرغم مما يواجهه من عقبات (٢) .

ومن دلائل النضج العقلى تكامل الشخصية ، وهو عبارة عن تضامن مقوماتها المختلفة وتوافقها وتضافرها وانتظامها ، حتى يكون سلوك الفرد ثابتا متزنا لا تنافر بين مظاهره ، الأمر الذى يجعل الفرد يتكيف مع أفراد المجتمع الذى يعيش فيه . ويساعد على تكامل الشخصية (٣) ؛ التربية الرشيدة مع التوجيه السديد فى بيئة منظمة تكفل حياة هادئة . وليس أضر بتكامل الشخصية من التربية الفاشلة القاسية حينا ، والمتساهلة أحيانا ، مما يميت فى الطفل قوة الاعتماد على نفسه ، فى بيت محطم انعدم الانسجام بين أفراده .

وليس من شك فى أن الشخصية خير مقياس لنمو الفرد ، ومكانته فى المجتمع .

أما الفردية individuality فهى صفة أو ميزة للفرد ، وهى أن يسلك الفرد سلوكا يختلف عن سلوك غيره . فلا يتأثر بالغير إلا قليلا ، وقلما يطيع العادات أو ينقاد إلى التقاليد . ذلك أن تأثره بالبيئة يكون مبنيا على فهم وتبصر بالغرض من سلوكه . وحتى لو اتبع أمرا اتبعه غيره ، فانما يفعل ذلك عن عقيدة ودراسة وليس طاعة أو تقليدا أعمى . ولا شك أن الحياة البدائية تعوق الفردية بتقاليدها الموروثة الجامدة التى تتبع النظام الطوطمى Toremism (والطوطم مجموعة أشياء مادية ينظر اليها البدائى نظرة الاجلال والاحترام يتخذها رمزا للأب أو الجد الأعلى وتحميه من الاخطار) واللاماسات tapoo ، وهى تحريمات وقيود تفرض بازاء إنسان

(١) دكتور أحمد عزت راجح : مشاكل الشباب النفسية (١٩٤٥) ص ١٦ .

(٢) القاموس الملحق بكتاب الدكتور يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام . (١٩٤٨) .

(٣) مجلة علم النفس : مجلد ٣ عدد ١ (يونية ١٩٤٧) ص ١٠٨

محدثين ، وكان أبو عمرو يقول : لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته (١)

قال المبرد : ليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كلاما يستحقه (٢)

وأنكر ابن المعتز عصبية هؤلاء النقاد للشعر القديم وذمهم لشعر المحدثين ، وقال إنها عيب قبيح ، ومن فعل ذلك فانما غض من نفسه وجعل هذا ناشئا عن جهل بنقد الشعر وتمييزه . (٣)

وكان الجاحظ هو السابق إلى إقامة نقد الشعر على أسس فنية خالصة ، وحارب هذا التعصب المقوت للقديم لقدمه ، وآراؤه فى ذلك كثيرة فى « البيان والتبيين » و « الحيوان » وسواهما ، ففى « الحيوان » ينكر الجاحظ على المتعصبين للقديم فعلهم ويقول : ولو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد ممن كان وفى أى زمان

(للكلام بقية) محمد عبد المنعم خفاجى

(١) ٧ و ٨ الشعر والشعراء

(٢) ١٨ / ١ كامل المبرد (٣) ١٧٥ و ١٧٦ : أخبار أبى تمام للصولى

صورة رمزية

رسالة إلى امرأة !

للأستاذ غائب طعمه فرمان

« الصراع بين الواقع والخيال صراع خالد .. فكثيرا ما يهرب المرء من واقعه المرير مع أحلامه إلى عالم الخيال الرحيب .. ولكن .. لا يستقر فيه قليلا [illegible] إلى أحضان واقعه ليراه أشد مرارة من قبل ! ... »

ها أنذا جالسا لوحدي والدجى يرسم أمام ناظري عالما رهيباً ...

ها أنذا صامتا كأنني أنتظر ساعة مفزعة ، أو أرتقب حكما قاسيا ، والكون من حولي أخرس سكران بخمرة السكينة ، والهواء البارد يلفح وجهي ، ويبث القشعريرة في كياني ، فأحس من أعماق نفسي بهمسة حائرة مضطربة ، وتضطرب في نفسي لواعج وأشجان ، وتختلج في رأسي أفكار وصور قاتمة !

ها أنذا جالسا على صخرة تعرفني ، حبيبة إلي ، عزيزة على نفسي .. وقد صرخت من أعماق روحي قوة تدفعني إلى أن أقبلها وأبلل جسمها البارد بدموعي ، وأركع تحت قدميها أستجدي الذكريات !

والنهر أمامي يتهادى بسكون كأنه في موكب عزاء ، وعلى سطحه الأملس مرتجف كأنه مآل اليائس ، وقد شعرت برهبة وخشية ، فكأنني واقف على شاطئ مسحور . مجهول .. مبهم .. تلفه الأسرار ، وتوغل في أرجائه أصداء مبهمة كأنها أرواح ضائعة تنشد أجسادها بين الرمم ، أو كأنها أسئلة ليس لها ردودا

وعلى يساري تلك الشجرة الأمينة كقلب أبيض ، تصلي معي بخشوع وضراعة في محراب الوحدة القدس ، وقد سجدت أغصانها على النهر تقبله ، وقد داعبها نسمة حنون ، فراحت تميل بطراوة !

كل ما حولي عميق لأنه يطوي تاريخ قلبين فرقهما الدهر ، فتاها في متاهات الحياة حائرين يبحثان عن مأمن رحيم ... كل ما حولي حزين كأنه يبكي على مأساتنا ، ويندب حظنا العاثر ، ويبعث إلى قلبين ضالين سلوة وعزاء ، وكل شيء يمر على ذاكرتي واضح المعالم ، مؤثرا ، مرهقا ، عميقا ، ويتجسم في هذا الفضاء اللانهائي لي شبح الماضي الجميل الكئيب ! ، وتبرز لي ذكريات الأيام الماضية ، تلك التي طمرها القلب ، وأخرجها الاحساس المتوثب ، وصرخ بها الضمير المنصوب !

يالها من ذكرى .. تلك التي انطوت على شواظ من نار ،

أو شيء أو عمل (١) .

ولولا الفردية لما كان هناك تقدم ولا مدنية . فلو أن الناس كانوا يفكرون تفكيرا متشابها ، ويسلكون سلوكا متشابها ويعتقدون في أشياء خاصة ولهم أغراض وغايات واحدة ، دون أن يتساءلوا عن صحتها أو يجتهدوا في تغييرها ، لما كان هناك أمل في التطور والرقي . والفردية هي التي تدفع إلى التجربة والمخاطرة ، والاختراع والابتكار . ولعل خير مقياس لرقي المجتمع هو مدى ما يعطيه للافراد من فرص لظهور فرديتهم المختلفة . وكثيرا ما يحدث صراع بين التقاليد والفردية فتحدث اضطرابات نفسية خطيرة (٢) ، وذلك حين تقف التقاليد حائلا دون ظهور الفردية .

على أن للفردية بجانب هذه المنافع — أضرارا ، فقد كان لانتشار فكرة الفردية — وخاصة في أوائل القرن الماضي — أثر في تفكك أوامر الأسرة التي تسودها سيادة الأب — وحمية (مودة قديمة) وأن من الممكن أن ينكث الزوجان أو أحدهما العهود المقطوعة حيال الزواج .

ثم إن التمادي في الفردية يجعل الفرد ينظر إلى الأمور بالنسبة إلى آرائه وملذاته — مما يؤدي إلى الاستخفاف بنظام الأسرة . وهذه الروح المستهترة كان لها أثرها في زعزعة النظم الاجتماعية وعدم استقرارها .

محمد محمد علي

---

(١) في موضوع الطوطمية والتابو — راجع كتاب سيجموند فرويد المشهور .

(٢) مذكرات الدكتور حسن الساعاتي في علم الاجتماع لطلبة قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد ٤٧ — ١٩٤٨

ولفت ريقا من العمر كان القلب ، والعاطفة ، والضمير قضاته العادلون !

إنني لأذكره .. وأنا وحدى أحييه ، وأبعثه من أعماق قلبي على القرطاس ، وأحاول أن أبث فيه من حياتي . روحاً ، ومن جوانحي قبساً ، ومن اضطراب فكرى حركة !

وأنت أيتها المرأة التي أحاطتك — أعتقك جالسة وحدك على الشاطىء .. شاطىء العالم الأرجواني ، كأنك تنتظرين عودتها يؤوب إلى وطنه ، أو أملا يولد مع موج الأحلام المسحور ! ... أعتقك غارقة في الظلمة كأنك تناجين الأطياف ، وأعتقك ساهمة كأنك تصلين ، وأعتقك غارقة في لجج الصمت الذاهل !

أتذكرين ذلك اليوم الكئيب الجميل ، القاتم النير ، الباكي المبتسم ؟! .. عندما تقدمت اليك مدفوعا برهبة وخشوع عظيمين ، مدفوعا برغبة وشوق آمرين ، كأنني مدفوع إلى عالم المستقبل المكنون !!

جئت إليك ، وقد نفضت يدى من العالم ، ومن كل رغبة من رغبات الحياة ، ومن كل خفقة من خفقات الأمل ، ومن كل شوق من أشواق النفس في الخوض في غمار الحياة !

وكنا قد تواعدنا على قدر ، واتفقنا على موعد ! وقد هربت من جحيم حياتي ، وإسار رقبتي .. إليك .. وأنت تعرفين أن الماضي الذي أتكلم عنه شيء قاس مؤلم .

تقدمت اليك بقلب واجف .. كأنني في حضرة من ملك حياتي ، فرأيتك جالسة غريقة في بحر لجي من الهواجس والظنون ويدك ممتدة إلى الظلمة ، أو إلى شعرك الفاحم !

وخيل إلى أنني أمام امرأة ساحرة تلفها الأسرار ، كأنني لم أعرفك ، ولم تتواشج الأواصر الروحية بيني وبينك .. وسمعتك تتمتمين كأنك تقرئين تعويذة لطرد الأشباح المحيطة بك كأنها الاقدار .. وسمعتك أخيرا تقولين :

— أهذا أنت ؟!

فأجبتك : نعم .. أنا الوحيد الذي قطع كل صلة له بالعالم!

فنظرت إلى كأنك تنظرين إلى شيء غريب .. بليد .. مبهم لا يعرف أمرا من أمور الحياة وقلت :

— هل ارتكبت الحماقة؟! .. هل اشترتك مملكة الشيطان ؟!

— نعم ! .. لقد فعلتها وأنا لست بنادم ولا خزيان .. نعم لقد فعلتها بكل إرادتي .. فانني لا أحبها ، ولا أشعر بميل نحوها بل أنا أمقتها كما أمقت الشيطان!

وساد الصمت ، وكلانا لا يعرف ما يقول .. كأن السكينة ألقت أسارها علينا .. ومشينا على الشاطىء .. ونحن مطرقان .. قلت:

— ولكنها زوجتك .. أم أولادك .. إن ضميري ليعذبني !!

— وليكن .. فأنا لا أقبل منطق الحياة الأعوج ، فأنا أكره زوجتي أشد الكره

— ليتني ما عرفتك !!

— أتريدين الحق ؟! إنني يئست من حياتي لولاك .. ومن يدري ! . لولاك لفارقت الحياة منذ زمن بعيد !

يالك من امرأة غريبة كالحياة ، غامضة كالموت . إنني لم أشعر بالاهانة والضعة مثل شعوري بهما في تلك اللحظة .. لقد حطمتني الجريمة وحدى ، وهربت أنت لائذة بالعفة والطهارة .. وليس هناك جريمة في الوجود يشترك فيها شخص واحد .. حتى السارق في جنح الظلام يشترك معه المجتمع في سرقته !

قلت لك : — لا تثيري الماضي .. فالذي تلفه الأكفان لا تستقر فيه الحياة مرة أخرى . إنني ضحيت بكل شيء من أجلك .. أنت يا سورة أحلامي ولحن هواي . ضحيت بامرأتي وهي مخلوقة بائسة ضعيفة .. وضحيت بأولادي وهم محتاجون إلى من يأخذ بأيديهم ... وضحيت بكل شيء لأجلك .. فقد ضقت ذرعاً بحياتي الرتيبة ، وديناي الكثيرة الأوحال .. لقد ضقت ذرعاً بهذا الواقع المليء بالتناقضات .. هذا العمر الذي يذبل بذلة .. واشتقت إلى عالم ثان أكثر بهجة وأنضر وجها .. وأنت جناحي الذي أحلق به في الأجواء السامقة وأرتفع به عما ينخر في جسمي ويستبد في فؤادي .. فتعالى معي ولا تثيري شجني لتتساقى هذا التل لعله يقضي بنا إلى العالم الجديد !

وعندما تسلقنا المرتفع لنبلغ المدينة كنت تستندين إلى ذراعي وقد أيقظت حرارتك في روحي نشوة نائمة ، وخيل إلى أن هذا الطريق الطويل .. هو طريق حياتنا .. وأنا أساعدك على السير فتغلبني العزة برجولتي ، وأستجيب لدواعي نفسي ، وأنصت إلى

ذلك الايقاعى الروحى ... إلى صوت قلبينا !

ونزلنا من الجهة الثانية ونحن صامتان .. وبدت لنا المدينة كبيت مهجور مخيف تسكنه الأفاعى والوحوش !

أيمكن أن ندخل هذه المدينة ؟ ! إن الناس سيعرفوننا ، وسيقولون هذا رجل لا ضمير له ، فقد ترك زوجته ليعيش حياة مخجلة .. وتلك فتاة لاحياء لها فقد هربت مع رجل متزوج ! .. أما نحن فنصمت أمام تلك الأقوال الجائرة .. لأننا لا نملك القوة على مجابهة المجتمع والحرية فى التعبير عن عواطفنا .. غير أننا يجب أن نصرخ فى وجوه هؤلاء : إن الحياة أرفع من أن تعاش مع الملل ، وأسمى من أن تذبل فى صمت .. الحياة سر مقدس لا يكون فى الأرحال ، ولا يجدر أن ترهق تحت أعباء من أوضارنا ..

أنا رجل شقى يعرش حياتى الملل ، ويستبد بى ضجر عميق . إن عينى ترى دائما أشباح السآمة ، وطيوف الضيق المهيمن على روحى ... فإذا لو حاولت أن أمسح عن روحى الملل ، وأنقذ حياتى من دنيا الطيوف والأشباح ؟! .. ماذا لو هربت بذلك السر المقدس إلى ملكوت من الصفاء والحرية ؟! ماذا لو صرخت فى عنصر الفناء صرخة الجريح المستغيث ؟ !

غير أن الناس جروا على عادة سخيفة كأنهم شعروا بتفاهة أنفسهم فحاولوا أن يقنعوا أنفسهم بأن الحياة تافهة لا تستحق أية تضحية ، ولا تستأهل أى إقدام !

وأخيراً دخلنا المدينة ، فراحت عيون الناس تلتهمنا ، وتصعد فينا ، كمجرمين هربا من السجن ، وعليهما شارته ، وفى سيمائهما بريق الذل ، وفى نظراتهما افتقار النفس إلى عزة !

وقد تحيرنا إلى أين نذهب ؟ .. ونحن لا نملك الوقود الذى نحرقه قربانا للمجتمع ! ..

لقد حاولنا أن نعيش ، وأن نتكىء على العاطفة التى أسرتنا ، وأن نجعل الحب نبراساً يضىء لنا الطريق .. لقد حاولنا أن نعيش فى أجوائنا الساهمة دهرا ، وأن ننسى الماضى والناس جميعا ، وأن نتغذى بالعاطفة المضطرمة ، ونسترشد بالاحساس المشترك ، ونقيس الأشياء بمقاييسنا نحن .. تلك المقاييس التى صغناها من من رحيق نفوسنا .. غير أن الهوة كانت سحيقة ظلت تصرخ فينا : مجرمون . مجرمون !

وحاولت أن تتشبث بأسباب الحب .. غير أن حبل الحب قد رث ولم تبق أمامنا إلا حياة مظلمة .. وإذا الحب عملة زائفة فى سوق المراوغة والخداع !

ونحن ـ دائما ـ نركض وراء الحب . ذلك المعبود الوهمى .. حتى يضنينا التعب ، وينال منا الجهد .. حتى إذا ظفرنا به فى النهاية .. رأيناه قائما على منطق أعوج ، وأدركنا أننا ارتكبنا فى سبيله حماقة صارمة .

ولما لم نستطع الحياة مما حين بلغ بنا اليأس مبلغا بعيدا .. تنصلت منى ، وتنصلت منك .. وتركنا الحب كأثر من آثار الجريمة !

ولم نملك حتى كلمات الوداع . فكأننا شعرنا بأن عاطفتنا أصبحت من التفاهة بحيث لا تقيم جملة من جمل الوداع !

وهكذا انفصلنا . ورجعت إلى نفسى أحاسبها بعد رحلتى الطويلة .. وأخذت أستعرض الماضى بكل ما فيه من أشجان وآلام .. ورأيتنى أمام صور اختلطت ألوانها ، وتشابكت خطوطها .. وأصبحت لا تعبر إلا عن الخيبة !

أتذكرين عندما التقينا لأول مرة ؟! .. لقد خيل إلى فى ذلك الحين أننى سأضع حداً لاضطرابى ووافعى المر ، وأبنى حياة أكثر بهجة وانسلاقا .. وهكذا أنا أتمنى كل يوم أن أحيا حياة جديدة . إن عمرى ملىء بالأخطاء حتى لأتمنى دائما أن تكون لى القوة على نسيان الماضى جميعه ، وتغيير مجرى عمرى ! .. فعندما رأيتك حطمت بكل جبروتى ما فى كله ، ونسيت بما أملك من قسوة واقعى جميعه .. فلم أشعر بالدنس لأننى متزوج ، ولأن لى أولادا .. ولكننى شعرت بالنبطة تطفح على وجهى ، وأنت تتراءين لى أينما قلبت ناظرى .. وكنت أحملك طيفك كأننى أرتشف روح السكينة !

عندما عرفتك انقلب بيتى إلى جحيم ، وصارت امرأتى فى عينى شيطانا مريداً ، وران التذمر على روحى ، وضج الضجر فى كيانى .

إننى عندما أسترجع الماضى يهز نفسى ما تضمنه من خيبة جارحة أورثتنى عدم الثقة فى نفسى ، وزرعت فى بذور السخط الطائش !

كنت أقول دائما إن قلبا من غير حب كهف يرن فى أوجائه فراغ أبله .. ولكن متى ما يعلق الحب فى قلب يصبح كالطائر الجريح يخفق فى جناحيه كأنه ينعم بالغبطة وكأنه لا يعرف أن قواه الخائرة ستهبط به من حالق !

وهكذا أنا .. عندما علق حبك فى قلبى لم أكن أشعر إلا بوجودك .. وطفقت أسعى لكى أدبر شيئا فى سبيل سعادتى ولو على حساب الآخرين ! .. وكنت أنت تشجعنى وتذكرينى بالأسار الذى يطوق عنقى

ومرة رجعت إلى بيتى بعد لقاء معك .. وكانت عندى فكرة ظالمة، فقد نويت أن أصرخ فى وجه زوجتى: إننى لا أحبك بل أمقتك أشد المقت !!

صدقينى لم تكن لى رغبة فى مثل هذه الحياة ، ولا فى مثل هذه الزوجة . لقد كنت أتوق إلى حياة أرفع من هذه الحياة المليئة بالتناقضات .. لقد كنت دائما أحلم بالحوريات ، وأعرق فى نشوة حلمى .. لقد كنت دائما أتصور تصورات زاهية مزهرة .. وأبنى القصور فى خيالى .غير أن حلمى لم يتحقق ، فقد جاء أبى بجبروته يمسخ حلمى ، ويهدم تصوراتى .. فزوجنى بامرأة بلهاء لا أحس نحوها بأية عاطفة !

دخلت بيتى .. العالم الذى أمقته أشد المقت .. لكم هو كريه إلى نفسى ثقيل على قلبى ملىء بالأشباح !!

وكنت أنت يا من تصورتك حورية من حوريات أحلامى تزيدين كراهيتى لبيتى ، وتثيرى منه ، وسخطى عليه .. وكنت أنا الهائم الذى لا يستقر على قرار . أمنيك ، وأبث فى نفسى الحرارة والقوة لكى أهدم حياة أسرتى الآمنة . فى سبيلك أنت يا من تركتنى وحيداً منبوذاً فى نهاية الأمر !

كان دخان الجرعة يملأ صدرى بعد أن عرف الناس حبنا ، وأصبحت حياتى فى البيت لا تطاق !

وجئت زوجتى مرة فرأيت المسودة تبكى على الحب الذى لم يخلق ، ورأيتها تصرخ معولة :

— طلقنى .. يا ظالم . يا حقود إننى لا أستطيع أن أتحمل كلام الناس !

وفى تلك اللحظة وقف خيالك كالشيطان يدبر لى أمراً .. فقلت تلك الكلمة القاسية وخيل إلى أنها ستصنع لى جناحين لأطير بهما إلى عالمى السامى .. وخيل إلى كذلك أنها الكلمة السحرية التى ستنقلنى إلى دنيا الحرية والأحلام !

وخرجت من البيت إلى غير رجعة .. وهربت من الجحيم إليك !!

وكان لقاؤنا فى عشنا الأول .. على شاطىء النهر .. وقد ابتدرتنى قائلة :

— أهذا أنت ؟!

— نعم ! .. أنا الوحيد الذى قطع كل صلة له بالعالم

وكانت آمالنا كباراً فى أن نحيا حياة جديدة .. ولكننا لم نستطع .. وحاولنا أن ننسى الماضى ومرارته ولكن الماضى ظل يلاحقنا وينغص علينا حياتنا

وبعد رحلة طويلة مضنية فى عالم الأوهام انفصلت عنى ، وانفصلت عنك ، وإذا أنا وحدى أهيم فى عالم غريب عنى .. فقيرا إلى الرحمة والحنان الطاهر فقيراً ، إلى الأمن والطمأنينة الجميلة ، فقيراً إلى الراحة واستقرار الضمير !

ولم تكن لى وجهة اتجه إليها ، ما دمت قد قطعت كل صلة لى بالعالم .

يا ويحى ! .. أهذا الحطام يستطيع أن ينهض بى من الهوة التى أردى بها ؟!

يا ويحى ! أتلك الخطيئة تمحوها كفارة من حيرتى وعذابى؟!

وأخيراً . دخلت مدينتى .. واتجهت إلى بيتى الذى هدمته بيدى لأشهد حطام حياتى الماضية ، ورأيت البيت يخيم عليه السكون !

زوجتى .. زوجتى .. شريكة حياتى ، ضحية حبروتى .. أيتها المرأة المحطمة ها هو الجلاد .. جاء إليك . ولكن من غير سيف .. فقد حطمت الحياة سيفه ... لقد جئت إليك أحاول بناء حياتى من جديد .. إنظرى .. إنظرى ..

ولكننى لم أسمع جواباً . لأن زوجتى تركت بيتها !!

فتسللت من الباب كاللص بعد أن زودت ناظرى بمناظر المأساة وجئت إلى الشاطىء .. لا لأننى أحبه .. ولا لأننى مشتاق إليه .. ولكننى لا أملك ملجأ غيره

وها أنذا جالسا وحدى والدجى يرسم أمام ناظرى عالماً رهيباً

(القاهرة) غائب طعمة فرمان

أسامة بن منقذ وشعره

الاستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٣ —

لم يكن معروفا من شعر أسامة سوى ما تفرق فى كتبه، الاعتبار والعصا، ولباب الآداب، وما تفرق فى كتب مؤرخيه كخريدة القصر، والروضتين، فى أخبار الدولتين، وتاريخ الاسلام للذهبى، وشذرات الذهب، وجهرة الاسلام، ذات النثر والنظام، ولكن أسامة كان له ديوان جمعه بنفسه، وعنى به من بعده ابنه مرهف، وكان صلاح الدين مشغوفا به كما ذكرنا، وقد رآه ابن خلكان، وذكر أنه بأيدى الناس، وقد عثرت دار الكتب على نسخة خطية من هذا الديوان.

وقد رتب أسامة ديوانه على حسب الأغراض، فباب للغزل وآخر لشكوى الفراق، وغيرهما للوصف، إلى غير ذلك من أغراض الشعر الثنائى ولكن ديوانه قد خلا من الهجاء، ويظهر أنه قد أصر على ألا يكون فى شعره هذا اللون برغم الدوافع التى كانت تسوقه إلى أن يهجو، حتى لقد قال:

ظلمت شعرى، وليس الظلم من شيمى
يطيعنى حين أدعوه، وأعصيه
يهم أن يذكر القوم اللئام بما
فيهم، فأزجره عنهم، وأثنيه
وليس من خلق ثلب الفنى وإن
جنى، ولا ذكر ذى نقص بما فيه

وفى ذلك صحة من ترفع الامارة، التى تحول بينه وبين النزول إلى مستوى التشاتم والمهاترة.

ولما اختار أسامة أن يرتب ديوانه على الأغراض، كان يجزىء القصيدة الواحدة، فيضع غزلها مثلا فى باب الغزل، ومديحها أو فخرها فى باب المديح أو الفخر، وكان هو يشير إلى ذلك حين يعرض قصائده، ولهذا النظام فائدته فى تتبع الدراسة الفنية لكل فن من فنون الشاعر على حدة، وإن كانت الحاجة تدعو، عند دراسة بناء القصيدة، إلى دراسة أجزائها كلها، لمعرفة الجو الذى توحى به، وإدراك مدى الصلة التى تربط بين عناصرها.

ويبدو لأول ما تقرأ الديوان أن أسامة لم يدون كل ما قاله من الشعر، لأنه لم يرض عن كل ما صدر منه، فحذف منه ما لم يرقه، حيث يقول:

كلما رددت فى شعرى النظر ... بان ضعف العى فيه، وظهر
ليس يرضينى، ولا يمكننى ... جحد ناقد شاع منه، واشتهر
فأجيل الفكر فى تقليله ... فاذا قل اختصرت المختصر
وبه أفر إلى ذى كرم ... إن رأى مافيه من عيب ستر

وذاك يدل على تطلع أسامة إلى مثل أعلى، كان يبتغى أن يصل إليه مستوى شعره، ولابد أن كان لذلك أثره، وأخذه إياه بالتقويم والتنقيح، حتى ظهر شعره فى هذا الثوب من القوة والجزالة، مما يذكرنا بشعر الفحول الذين سموا بفنهم عن أن يكون مظهر التلاعب بالألفاظ، أو الجرى وراء محسن لفظى، من غير أن يكون فى البيت معنى جليل، أو خاطر سام، أو شعور صادق، أما أسامة فلديه ما يقوله، فى أسلوب قوى، وعبارة رصينة.

وتتدفق خواطر أسامة فى قصيدته، ويرتبط بعضها ببعض، حتى يصبح البيت لبنته، فى بناء ملتحم مؤتلف، خذ مثلا قوله:

لا تجز عن الخطب ... فكل دهرك خطب
وحادثات الليالى ... مملة، ما تغب
تروح سلما وتغدو ... على الفتى وهى حرب
ولا تضق باصطبار ... ذرعا إذا اشتد كرب
فصبر يومك مر ... وفى غد هو عذب
كم صابر الدهر قوم ... فأدركوا ما أحبوا
وكل نار حريق ... يخشى لظاها ستخبو

ترى فيه التحام الخواطر وتسلسلها ، ولاتجد ذلك فى مقطوعاته القصيرة فحسب ، بل فى قصائده الطويلة أيضا ، حتى ليخيل إليك أحيانا أنك تقرأ قطعة منثورة ، لا قصيدة منظومة ؛ ويطول نفس أسامة أحيانا حتى تبلغ القصيدة تسعين بيتا ، كتلك التى كتبها على لسان نور الدين ، يمدد فيها وقائعه مع الفرنج .

وينهج أسامة فى كثير من الأحيان المنهج التقليدى ، فيبدأ قصائده بالغزل ، حين يفتخر ، أو يمدح ، أو يشكو ، وحينا يبدأ موضوعه من غير مقدمة غزلية ، كهذه القصيدة التى بعث بها إلى معين الدين أنر ، وقد لقى الفرنج ، وهزمهم ، فقال أسامة :

كل يوم فتح مبين ونصر واعتلاء على الأعادى وقهر

ومضى فى قصيدته :

ولكثرة ما اطلع أسامة على الشعر القديم ، كان يضمنه بعض قصائده ، حتى قد اتهمه بعض سامعى شعره بالسرقة من غيره ، وليس فيما فعل أسامة سوى التضمين الذى تراه فى قوله يخاطب معين الدين أنر :

وأنت أعدل من يشكى له ، وله شكية أنت فيها الخصم والحكم
وما ظلمتك نفسى حق معرفتى إن العارف فى أهل الهوى ذمم
لكن ثقاتك ما زالوا بفشهم حتى استوت عندك الأنوار والظلم

وفى هذه الأبيات تضمين من قصيدة المتنبى : « وأحر قلباه ممن قلبه شبم » . أما قصيدة أسامة التى مطلعها :

أطاع الهوى من بعدهم وعصى الصبر
فليس له نهى عليه ولا أمر

فقد ضمنها من شعر أبى فراس ، كهذا البيت ، ومن شعر المتنبى ، وأبى صخر الهذلى ، وغيرهم ، وليس التضمين بكثير من شعر أسامة ، وأكثره ماجاء فى هاتين القصيدتين .

تلمس فى شعر أسامة الجلال والوقار ، فلا هزل فيه ، ولا مزاح ، إلا قليلا نادرا ، وليس فى باب الملح الذى عقده ، فضلا عن قصره ، سوى قليل من الفكاهة ، ولعل من أرقها قوله ، وقد كان له جار من الأمراء ، يعرف بابن طليب ، وقعت فى داره نار فاحترقت ، فقال أسامة :

انظر إلى الأيام ، كيف تقودنا قسرا إلى الإقرار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بدراه نارا ، وكان هلاكها بالنار

— ٤ —

وحدت الأحداث الكبرى التى مرت بأسامة صداها فى شعره ، وصورت آثارها فى نفسه تصويرا قويا ، ولعل من أقوى هذه الآثار فى نفسه ، اضطراره إلى أن يفارق وطنه الأول « شيزر » الذى شهد مدارج طفولته ، وملاعب صباه ، وملاهى شبيبته ، وقد وجد أسامة البقاء فى هذا الوطن شقاء لا يطيقه ، بعد أن جفاه عمه ، وقلب له ظهر المجن ، فكتب إلى أبيه قصيدة يحدثه فيها عما يعتلج فى صدره من الهم ، ويشكو إليه ما كدر صفاء عيشه ، من الغدر ، وما ناله من سوء العقوق ، ويقول له :

أشكو إلى عليائك هما ضاق عن كتمانه صدرى ، وما هو ضيق
وطوارقا للهم أقربها الكرى وتلظ بى صبحا ، فما تتفرق

وينبئه بأنه قد صمم على فراق دار الهون ، مادام الحقد عليه قد وجد سبيله إلى قلوب ذوى قرباه ، فيقول له :

دعنى وقطع الأرض دون معاشر كل على لقصير جرم يحنق
تغلى على صدورهم من غيظهم فتكاد من غيظ على تحرق
أعيا على رضاهم ، فيئست من إدراكه ، ما النجم شىء يلحق
قد أفسدوا عيشى على وعيشهم فأنا الشقى بهم ، وبى أيضا شقوا
فضل الأقارب برهم وحنوهم فإذا جفونى فالأباعد أرفق

وكان أسامة راضيا عن نفسه بهذا الارتحال ، الذى نأى به عن الضيم ، وبعد به عن أن يسام الخسف والهوان ، واستقبل بعده عن وطنه ، راضيا به ، مادام ذلك فى سبيل احتفاظه بأنفته وعزة نفسه :

أسام خسفا ، ثم لا آبى ، فلست إذا أسامه
هيهات ، لا ترضى المعالى صاحبا يرضى اهتضامه

وألقى أسامة نفسه فى المعارك تحت لواء عماد الدين زنكى ،

ولم ينغص عليه مقامه يومئذ سوى وشاة أو هروا صدر أبيه عليه، فاضطر أسامة إلى أن يرسل إلى أبيه استعطافا، يزيل به من نفسه أثر هذه الوقيعة التي لم يحدثنا التاريخ عنها شيئا، فكتب أسامة إليه :

ياويح قلبي من شوق يقلقله ... إلى لقائك ماذا من نوالك لقى
وناظر قرحت أجفانه أسفا ... عليك في لجة من دمعه غرق
وبعد مابي، فاشفاق يهددني ... بشوبه رأيك بالتكدير والرنق
وأن قلبك قدرانت عليه من ... واشين بي جفوة يهماء كالشفق
أما كفاهم نوى داري وبعدك عن ... عيني، وفرقة إخوان الصبا الصدق
وأنني كل يوم قطب معركة ... درية السمر والهندية الذلق
أغشى الوغى مفردا من أسرتي وهم ... هم إذا الخيل خاضت لجة الملق
وموضعي منك لا تسموالوشاة له ... ولا يغيره كيسي، ولا حمقي

وكان موقفه من دمشق حين نبت به، كموقفه من وطنه الأول، فارقها غير راض باحتمال الهوان، برغم ما ألسه في شعره من حب لمعين الدين، يقول له :

ولست آسى على الترحال من بلد ... شهب البزاة سواء فيه والرخم
تعلقت بجبال الشمس منه يدي ... ثم انثنت وهي صفر ملؤها ندم

أما حياته بمصر، فقد مر عليه بها من تقلبات الزمان، وعبر الأيام، وتنقل الملك والسلطان، ماصح أن يقول معه :

خمسون من عمري مضت لم أنتظ ... فيها، كأني كنت عنها غائبا
وأنت على بمصر عشر بعدها ... كانت عظاة كلها وتجاربا
شاهدت من لعب الزمان بأهله ... وتقلب الدنيا الرقوب عجائبا

ولعل الأزمات السياسية التي مرت به في مصر، كانت تملأ صدره بالهم حينا، والنقمة على الزمن الذي دفع به إلى مصر، فيقول :

بامصر، مادرت في وهمي ولا خلدي ... ولا أجالتك خلواتي بأفكاري
ما أنت أول أرض مس تربتها ... جسمي، ولا فيك أوطاني وأوطاري

لكن إذا نحت الأقدار كان لها ... قوى تؤلف بين الماء والنار

ولكن أسامة برغم هذه الأزمات التي كانت تدفعه حينا إلى الثورة، والتي لابد أن تلم بمن يخوض لجة السياسة - وجد في مصر ما كان يصبو إليه من مال ومجد، كان شديد الأسف عليه، حين أفلت من يده، تحس بذلك في قوله :

نلت في مصر كل مايرتجي الآمل من رفعة، ومال، وجاه
فاسترددت ماخولتني، وما أسرع نقص الأمور عند التناهي
كنت فيه كأنني في منام ... زال منه ما مر عند انتباهي

فلا جرم، كان شديد الحنين إلى مصر، بعد أن فارقها، وكان يتمنى أن يلبي دعوات الملك الصالح التي وجهها إليه مرة بعد أخرى يدعوه فيها إلى العودة والعيش معه. وهنا يحسن بي أن أقف قليلا أبين رأي الملك الصالح فيما اتهم به أسامة من المشاركة في قتل الظافر، فالصالح ببرىء أسامة براءة تامة من هذا الإثم، ويراه نقي الصفحة، طاهر اليدين، وهاهو ذا يرسل إلى أسامة، يدعوه إلى مصر، ويحدثه عن الوزير عباس الذي قتل ابنه نصر الخليفة الظافر :

على أنه قد نال بالغدر من بنى ... نبي الهدى مالم ينله بنو حرب
وهل نال منهم آل حرب وغيرهم
من الناس فوق القتل والسبي والنهب
غدا والغا كالكلب ظلما وحزبه
دماءهم لاحاطه الله من حزب
وياليته لو كان فيه من الوفا
لما لكه بعض الذي هو في الكلب
وحاشاكم ما خنتم العهد مثله
ولا لكم فيما جرى منه من ذنب
ومن مثل ماقد نالكم من دنوه
يحاذر أن تدنو الصحاح من الجرب

كان لكثرة الترحال أثر في شعر أسامة، فكثيرا ما شكا الفرقة والاغتراب، وكثرة جوبه البلاد، وتحس في هذا الشعر لوعة الحرمان، وألم الشوق إلى الوطن المفارق، والآل النائين،

فتسمعه يقول :

أهكذا أنا باق العمر مغترب
ناء عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقر جيادي في معرسها
حتى أروعها بالشد والطعن

ويقول :

أين السرور من الروع بالنوى أبدا ، فلا وطن ، ولا خلان
عيد البرية موسم لمويله ومسرورهم فيه له أحزان
وإذا رأى الشمل الجميع تزعزعت في قلبه الأمواه والنيران

فكان هذا الرحيل الدائم ، مصدر ألم لأسامة ، يؤرق حياته ، وينغص عليه عيشه ، وكان له أثر في مسح شعره بمسحة من الحزن والأسى ، وكثرة حديثه عن الوداع والفراق .

كما كان لتبدد ثروته ، ونهب بعضها عقب الحوادث التي جرت بعد مقتل الحافظ وغرق بعضها في البحر ، عند خروج أسرته من مصر — أثره البالغ من نفسه ، وأثره القوي في شعره ، شكا ذلك إلى الملك الصالح ، وطلب منه المونة ، فقال له :

أنا أشكو إليك دهرا لجاعو دي ، وأعراه ، فهو يبس سليب
وخطوبا رمى بها حادث الدهر سوادي ، كمهن مصيب
أذهبت تالدي ، وطار في الطاري ، فضاع الوروث والمكسوب
فهو شطران بين مصر وبحر ذا غريق في ، وذا منهوب

ويظهر أن الفقر قد عضه بنابه حينا من الدهر ، حتى رأيناه يصف نفسه بأنه لا يفترق في حقيقة الأمر عن سائليه الذين يهرعون إليه ، ظانين فيه الغنى واليسار .

ولكن مستوري كظاهر حالهم فما حيلتي ، والحظ حرب الفضائل

وكان أكبر ما يؤلمه في حالة العسرة التي ألمت به ، هو أن شمت به أعداؤه ، فأخذ يطمئن نفسه بأن سوف يستعيد مع الأيام ماله المفقود ، وحينا يقول لهم :

متى رأى الشامتون ضرعا لنكبة تعرقني عرق المدى
هل يزني الخطب سوى وفري الذي كان مباحا للنوال والندى

فاذا نزلت كارثة زلزال شيزر ، فذهبت بملك أهله وبأهله ، أخذ يبكيهم ، وينتدب حظهم ، ويرثي منازلهم ، ويسأل الزمن عن ماضي مجدهم ، ويتألم لبقائه من بعدهم ، ويمدح ما اتصفوا به من سامي الخلال ، وطيب الفعال ، وبرغم ما كان بينه وبينهم من إحن وبغضاء ، عز عليه فقدهم ، وتمنى أن لو استمرت الحياة ، واستمر ما بينه وبينهم من فرقة ونفور ، فقد كانوا برغم ذلك مصدر فخاره ، وينبوعا لقوته واعتزازه ؛ قال أسامة من قصيدة طويلة يصف فيها هذا الخطب ، كيف كان له شديد الوقع في نفسه ، فهو يستطيب الأسى ، لأنه أسوة يتأسى بها :

قالوا : تأس ، وما قالوا بمن ، وإذا
أفردت بالرزء ، ما أنهك أسوانا
ما استدرج الموت قوما في هلاكهم
ولا تخرمهم مثنى ووحدانا
فكنت أصبر عنهم صبر محتسب
وأحمل الخطب فيهم عز أوهانا
وأقتدي بالورى قبلي ، فكم فقدوا
أخا ، وكم فارقوا أهلا وجيرانا

ويدفع عن نفسه أن يظن به ظان وقوفه من هذه الكارثة وقوف من لا يعنى بها ، ولا يأبه لها ، فيقول :

لعل من يعرف الأمر الذي بعدت بعد التصاقب من جراه دارانا
يقول بالظن إذ لم يدرسا خلق ولا محافظني من حان أوبانا :
أسامة لم يسؤه فقد معشره
كم أوغروا صدره غيظا وأضغانا
ومادري أن في قلبي لفقدهم
نارا تلظي ، وفي الأجفان طوفانا
بنو أبي ، وبنو عمي ، دمي دمهم
وإن أرونى مناواة وشنآنا
كانوا سيوفي إذا نازلت حادثة
وجنتي حين ألقى الخطب عريانا

وختم تلك القصيدة الباكية بالدعاء لهم ، فقال :

سقى ثرى أودعوه رحمة ملأت
مثوى قبوهم روحا وريحانا
وأيس الله هاتيك العظام وإن
بليت تحت الثرى عفوا وغفرانا

ولما علت سن أسامة ، ووهن منه العظم ، أخذ يشكو طول العمر ، وثقل الحياة عليه ، فحينا يجد فى الموت أعظم راحة تنقذه من ضعفه ، وحينا تنهال عليه ذكريات شبابه وصباه ، ويوازن بين ضعفه اليوم ، وقوته فى عهده السالف ، فقد كانت كفه مألفا للسيف والرمح ، فصارت تحمل العصا ، يمشى بها كما يمشى الأسير مثقلا بالكبل ، وحينا يأسف على أنه لم ينل فى شبيبته من المتع واللذات ، ما كان جديرا أن يظفر به فى عصر الشباب ، إذ يقول :

وما ساءنى أن أحال الزما ن ليلى نهارا ، وجهلى وقارا
ولكن يقولون : عصر الشبا ب يكون لكل سرور قرارا
فوجدى أنى فارقته ولم أبل ما يزعمون اختبارا

ومن أكبر ما أثر فيه يومئذ أنه رزق ابنة ، بعد أن تجاوز أربعا وسبعين سنة ، فوجد اليتم ينتظرها ، وكان تفكيره فى يتمها وضعفها مجلبة لحزنه وبكائه :

رزقت فروة ، والسبعون تخبرها أن سوف تيتم عن قرب وتنعانى
وهى الضعيفة ، ماتنفك كاسفة ذليلة تترى دمعى وأحزانى

وصور لنا أسامة نفسه محنيا على عصاه ، قد تقوس ظهره ، وصارت العصا وترا لهذا القوس ، يمشى مشى الحسير ، قد آده ثقل السنين ، فهو يمشى كالقيد بعثاره ، أو كالأسير فى قيده ، فلا جرم كان شديد الضيق والبرم ، حين يرى نفسه عاجزا عن تلبيته داعى الحرب إذا دعاه :

رجلاى والسبعون قد أوهنا قواى عن سعيى إلى الحرب
وكنت إن ثوب داعى الوغى لبيته بالطعن والضرب

وكان شديد الضيق والبرم أيضا حين يرى نفسه وحيدا ، قد مضت لداته وأترابه ، فعاش غريبا فى جيل غريب عنه ، فكان يناوه قائلا :

ناء عن الأهلين والأو طان ، والأتراب ماتوا
ولبئس عيش المرء فا رقه الأحبة واللبدات
فالام أشقى بالبقا ء ، وكم تعذبنى الحياة

للكلام بقية

أحمد أحمد بدوى

خواطر فى كتاب الله

تربية الأمم فى القرآن

للاستاذ محمد عبد الله السمان

الواقع أننا لسنا فى حاجة إلى مسلمين يحملون كتاب الله فى جيوبهم ، ولا إلى مسلمين يعلقونه فوق صدور أبنائهم ، ولا إلى مسلمين يتلونه تلاوة لا تتجاوز حناجرهم . ولا إلى مسلمين يتخذون منه الأحجبة والتعاويذ والأدعية — ولكنا فى حاجة إلى مسلمين ينفذون مبادئه ، ويحققون مطالبه ، ويتفهمون معانيه ، وتشرب نفوسهم ما استوعبه من تربية راقية عالية.

وحاجة الأمم إلى التربية لا تقل عن حاجتها إلى المال والقوة والعدة — ذلك لأن الأمة لا يمكنها أن تشق طريقها إلى المجد ، وتسلك سبيلها إلى العلاء ، إلا إذا نالت نصيبا وافرا وقسطا كبيرا من التربية السليمة ، ولذلك كان اهتمام القرآن الكريم بتربية أمته اهتماما بالغا يسددها فى خطواتها ويقومها فى أعمالها .

اهتم القرآن بتربيتها على الأخوة المؤسسة على الاتحاد والتعاون والصفاء والإيثار : « انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم — وأصلحوا ذات بينكم — وتعاونوا على البر والتقوى — ولا تتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم — واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا — ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » .

ونهاها عن المواقف التى تجر إلى النزاع ، وتزرع فى قلوب أبنائها الشقاق :

« اجتنبوا كثيرا من الظن — ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا — لا يسخر قوم من قوم — ولا تلمزوا أنفسكم — ولا تنابزوا بالألقاب »

واهتم بتربيتها على العزة والحرية والنفور من الذلة والعبودية: « إن الذين توفيهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم؟

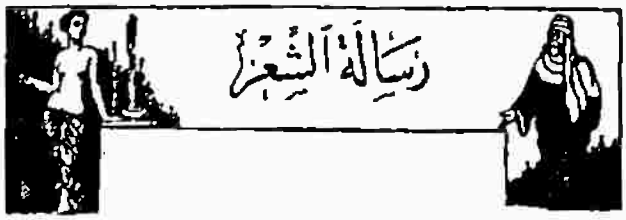

الشـــاعر

للاستاذ يوسف حداد

اقترحت زميلتنا « العصبة الأندلسية » على الشعراء أن ينظموا في موضوع « الشاعر » وأرصدت الاقتراح جائزتين ماليتين للفائز بن الأول والثاني ، فجاءها تسع عشرة قصيدة تخيرت منها لجنة التحكيم ثلاثا جعلت الجائزة الأولى لاثنتين منا صفة وهما للشاعرين يوسف حداد وشبلي ملاط ، والجائزة الثانية للقصيدة الثالثة كاملة وهي للشاعر أنور العطار ، وهذه هي القصيدة الأولى

قبل أن أسكن الثرى كنت في كوكب أقيم
مثلما ينبت الكرى مثلما ينبع النسيم
مذ أتى الله لي قرى قابض الروح لي نديم
زاد عيني حصى الذرى ماء قلبي لظى الجحيم
يوم أرنو ولا أرى خلف خط الضحى الوسيم
ظل صب من الورى في صحاري الدجى يهيم

قبل أن أنحف الزمان بالدواوين والرسوم
كنت أرعى وعول جان عند حورية النجوم
[illegible] لا من النغم
في مراديب كل حان ضل عنها هدى الكروم
و « بعامورة » جنان القطيمي وفي « صدوم »
والعصا جسم افعوان وجرابي عشوش بوم

أوفدتني إلى الأنام جنة السحر « عبقر »
في مهماتها الجسام يا لشيء يحير
كيف فيها الفتى ينام وهو يمشي وينظر
وبلغت الثرى بعام مثلما الفصل يعبر

قالوا : كنا مستضعفين في الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ... ؟ »

وحثها على الاستعداد ، وظهورها بمظهر القوة حتى لا تمس حريتها أو تخدش عزتها .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وحذرها مواطأة العدو ، والتودد إليه ، ففي هذا تمهيد لوقوعها في هوة الذلة والاستعباد :

« لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ـ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة »

واهتم بتربيتها على المغامرة لأنها من عوامل إنهاضها :

« يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة ـ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة »

واهتم بتربيتها على العدل حتى لا يصيبها الاضطراب في شئونها :

« كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ـ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ـ اتقوا الله وقولوا قولا سديدا »

وحذرها عاقبة البغي والعدوان :

« ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين ـ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ـ ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير » .

كما حذرها البطر حتى لا تتسبب في زوال نعمتها :

« ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس »

وكما رباها على العدل رباها على مكافحة الظلم لاستتباب حالها :

« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ـ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار »

محمد عبد الله السمان
مدرس بمدرسة علم الدين الابتدائية للبنات
بالسيدة زينب

ولدت ظـال النهام والضبـاب المـكسر
قفف الريش والعظام رحت بالظل أعـثر

ويحهم من سواى من جاء من سرحة الخـلود ؟! ...
يحمل التـاج والكفن للفراشـات والورود
قبل أن يهزأ الزمن بالقوابيـت والمهـود
فنزا عرسه القـبن وجنـازاتـه الصرود
فهو إن رم بالفبن يطلب الشمس للسجود
وإذا أعـول المجـن عيد الغيم ظل دود ...

إن نوحى بكل بر شرب الغيم من صداه
هل ترى الرعد ما انفجر لو فمى لم يجد بآه ؟!
أبعدونى عن البشر قـربونى من الإله
فى يدى بيعة الصور فى فمى مطهر الجباه
فلمن أكحـل البصر ولمن أغـسل الشفاه
واذبحوا بيننا القـدر فهنا غـور منتهاه

كل ما يشبع النظر قات منى ذرى الجفون
ان جوعى كوى الحجر ظمأى جفف العيون
نفسى رمـد الشجر بصرى قوض السجون
غرسوا فى يدى الإبر فجنوا زهـر زيزفون
كم طوى الكوكب الأغر لى رواقاً من السكون
أنت لولاى يا قمر لم تكن غير شطرنون ...

حيثما أزرع النفس ينبت الصفح والندم
وحمى كل من غرس يضرب الرأس بالقدم
قل لمن قصرهم درس وطوى شمسه العدم
ان قلبى الذى أحس يخطاياه من قـدم
ان جفنى الذى عبس بالسـلاطين والخـدم
ويراعى الذى لمس ليس رفشى الذى هدم

قل لدنيـا المظلة والجناح الذى يطير
لا تباهى بقـلة توجتهـا يد الأثير
نفضوا خيط حلتى فاكتسى النبع والغدير
هبـه من غزل شلة لفه الغث ، حبل نير

غمزوا ضلع فـاتنى فرمى فيئها العبـير
هبـه من زهر تلة شق عين الندى الضرير

من جلومى على انفراد فوق تل العشية
وانحدارى على الوهاد بالرؤى المخملية
نشأ الوحى فى العبـاد كرجاء المنية
ويك لولا غنى الوداد بكنوزى الخفية
حيث يلتف بالرماد موسم العبقـرية
ما حـلا للمسيح زاد من يد المجدلية ...

رب بيت نظمتـه بات تاريخ كل دين
رب سيف ثلمته لف جيل الوغى بحين
رب زهـر شممته ناب عن غلة السنين
رب صدر لثمتـه شق أضلاعه الحنين
رب ثغر ظمئتـه بالمناجاة والأنين
حمـل العـدل صمته من عـرين إلى عرين

أى شىء صفا وطاب لفؤادى وناظرى
ومضى دون ما إياب لم يلتفت عاجرى ؟!..
لا بظفر ولا بناب بل بشوك الخواطر
عند لمس الهوى المصاب هان بهش الكوامر
هكذا يلجم العباب فى دمع المهاجر
إرم عينيك يا سحاب إن بكى قلب شاعر

أنا أشـقى ليسعدا لى وراء الأنام جار
وأغـنى ليزهـدا بهتاف الضحى الهزار
وأهـز المهنـدا كى تـلف القنا بنار
وأرش اللظى ندى على ريق اللمى يغار
ضاء شمعى ورمدا فى ليالى الهوى القصار
كى يطيل البلى غدا شوق عظمى إلى النهار

إن طوى القبر أضلعى جنة التوت والكرز
ادفنوا غلتى معى كتب الشعر والرجز
ذخر قلبى ومدمعى خير ما ذوفنى كنز
إن يكن كل منقطع ميل التحنى وهـز
الحمـام الوديع والشكالى من الإوز

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مشكلة الفن والقيود :

... ...

« لا يحيا الفن بغير القيود » ، مثل مشهور تتباه فريق من أدباء فرنسا وشاعرهم فيه أنصار من مختلف بقاع الأرض . وأرى أنه ينطوى على شيء كثير من الخطأ والضلال ، لأن إخضاع الفن للقيود يعنى تقنينه وربطه بقواعد وأصول ، وهذا يناقض طبع الجمال الذى هو غاية الفن وطابعه الرئيسى . ولو طبقنا المثل نفسه على الشعر العربى مثلا لا نعكست الآية وانقلب المفهوم رأساً على عقب فما لا شك فيه أن القافية كثيرا ما تسوق الشاعر مرغما إلى معنى لا يرتضيه ولكن ارتضته القافية ، ومعنى هذا أن القافية تخطى الشاعر كلاما لم يقصد اليه ولم يهدف إلى معناه ، وما لا يقصده الشاعر ولا يهدف اليه يكون حتما دخيلا عليه فلا يرتضيه ولا يطمئن اليه ، وفى هذا قال شاعرنا العربى عبارته الخالدة « ما أرضاه من شعرى لا يأتينى وما يأتينى منه لا أرضاه »

حقا إن القافية تبتكر معنى جديدا لم يخطر ببال الشاعر ، ولكن العبرة ليست فى تغيير المعانى وتزاحمها وإنما فى قوتها وروعتها وجمالها ، وكلها صفات لا تجتمع للمعنى الذى تبتكره القافية ، إلا عن طريق الصدفة ، والتعويل على الصدفة عند تكوين حكم عام عن الفن ، أمر يناقض الحكمة ويجافى المنطق .. ألا ترى معى بعد هذا بأنه ليس من المتصور أن تحيى القيود الفنون مادام القيد ينزع بطبعه إلى التحكم ؟

هذا ما وددت أن أعرف رأيك فيه .. ولك منى خالص الشكر والتحية .

فؤاد الونداوى الحامى

« بغداد — العراق »

يريد الاستاذ الفاضل فؤاد الونداوى أن يعرف رأينا فى هذه المشكلة الفنية التى يعرض لها فى رسالته ، ونعنى بها مشكلة الفن والقيود . ويبادر هو فيحكم على المثل الذى ينادى بألا حياة للفن إلا فى ظل القيود ، يبادر فيحكم عليه بأنه ينطوى على شيء كثير من الخطأ والضلال ، لأن إخضاع الفن للقيود فى رأيه يعنى تقنينه وربطه بقواعد وأصول ، وهذا يناقض عنصر الجمال الذى هو غاية الفن وطابعه .

هذا هو رأى الأستاذ الونداوى . وخلاصته أنه يريد أن يحرر الفن من كل قيد وأن يعفيه من كل قانون ، ليصل من وراء هذا كله إلى تحقيق ذلك العنصر الرئيسى فى الفن ، ونعنى به عنصر الجمال ... ومن هذا الرأى الذى يجهر به الاستاذ الونداوى نخرج بأن مضمون نظرته وجوهر دعوته يلتقيان حول معنى واحد : هو أن الجمال فى الفن عماده الحرية

نود أن نقول للاستاذ الونداوى إن إطلاق حكم عام على مشكلة من مشكلات الفن يتطلب شيئا من التريث وأشياء من المراجعة . ولو تريث الاستاذ فى دراسة المشكلة وراجع نفسه

ان خطوط أصبعى ليس من أصلى أعزل .

احفظ رالصوت يا حداة حيثما مدفنى يكون
فلقد يقلق الرفات من صدى رنة الجفون
كيف لو ضج بالبنات هودج الزهو والمتون
وحدا الظعن للفتاة وهى ليست مع الظعون
وهى فيثارة الحياة وهى عكازة الفنون
فوعى الصخر والنبات قيمة الصمت والسكون؟

مشهد الظعن والكثيب هل خطى الفوق تفهم؟
أنت بين الورى غريب لوح بجواك طلسم
مثل أمنية الرقيب وأسى الطير مبهم
كل أرض بدون طيب لك فيها نخيم
كل جنينة تشيب من صحاريك تنقم
كل ما صور المغيب بعض ما أنت ترسم ...

يوسف عمار

عند إصدار حكمه ، لأدرك أن تحرير الفن من كل قيد معناه الحرية المطلقة ، وأن الحرية المطلقة ليست هي الجمال الذي يتطلع اليه ! إننا حين نفرض القيود على الفن فانما نفرضها بغية أن نبث فيه روح النظام . وما هو الجمال في الفن إذا لم يكن هو النظام على التحقيق ؟ وحين نرفض الحرية المطلقة في الفن فانما نرفضها خشية أن نبث فيه روح الفوضى . وما هو القبح في الفن إذا لم يكن هو الفوضى بلا جدال ؟ لابد إذن من قواعد وأصول حين نحتاج في « تنظيم » الفن إلى تلك القواعد والأصول ، ولا بد إذن من القيود التي تقررها المقاييس النقدية لتحديد القيم الجمالية . ومع ذلك فنحن لا ننكر الحرية التي تتيح للفن أن يتنفس ليكون فنا ، ولكنها الحرية المعقولة غير المطلقة ، تلك التي تعمل في مجالها الطبيعي حيث قدر لها أن تكون ! هناك إذن قيود مفروضة وقيود مرفوضة . أما تلك القيود المفروضة فقد حددناها في مذهب (الأداء النفسي) ، وهو مذهبنا في نقد الفنون عامة وفي نقد الشعر على الأخص ، ولا بأس من أن نعيد اليوم بعض ماقلناه بالأمس ، مادام الأستاذ الزيات يريد أن يعرف رأينا في مشكلة الفن والقيود .

في القصيدة الشعرية ، وفي اللوحة التصويرية ، وفي القطعة الموسيقية ، وفي كل عمل يمت إلى الفن بسبب من الأسباب ، يحسن بالفنان ، بل يجب عليه ، أن يكون له هدف .. هذا الهدف لا بد له من تصميم ، ولا بد له من خط سير ، ولا بد له من خطوات تتبع خط السير وتعمل في حدود التصميم . ذلك لأن الفن في كل صورة من صوره يجب أن يعتمد أول ما يعتمد على تلك الملكة التي نسميها « ملكة التنظيم » ، وكل فن يخلو من عمل هذه الملكة التي تربط بين الظواهر ، وتوفق بين الخواطر ، وتنسق المشاهد ذلك التنسيق الذي يضع كل شيء في مكانه ؛ كل فن يخلو من عمل هذه الملكة لا يعدو أن يكون « فوضى فكرية » أساسها وجدان مضطرب ، وذهن مهوش . ومقاييس معقدة أو مزلزلة . وأبلغ دليل على تلك الفوضى الفكرية في بعض ما نشاهده من آثار تنسب ظلما إلى الفن ، هو تلك الحركة السريالية التي هبطت إلى ميدان الشعر كما هبطت إلى ميدان النحت والتصوير والقصة ، فعبثت بكل الأنظمة والمقاييس التي تطبع الفن بطابع التسلسل والوضوح والدقة والوحدة والنظام ... مثل هذه الحركة في الفن ليس لها هدف ولا تصميم ولا خط سير ، وإنما هي أخلاط من الصور وأشتات من الأحاسيس لا يربط بينها رابط ولا تحدها حدود ! وشبيه بتلك الحركة في جنايتها على معايير الذوق وموازين الجمال كل حركة أخرى تمضي بالفن إلى غير غاية ، هناك حيث تفتقر بعض الأذهان إلى تلك « الملكة التنظيمية » التي تلائم بين الجزئيات وتوائم بين الكليات ، وتفصل ثوب التخيل على جسم الفكرة بحيث لا ينقص منه طرف من الأطراف ولا يزيد .

تريد من الفنان سواء أكان شاعرا أم مصورا أم موسيقيا أن يخلق نموذجه الفني على هدى تصميم يرسم « أصوله وقواعده » قبل أن يبدأ عمله وقبل أن يمضي فيه وقبل أن ينتهي منه . تريد أن يكون بين يديه هذا التصميم الفني الذي يأمره بالوقوف عند هذا المشهد ، وبالتقاط الصورة من هذه الزاوية ، وبتركيز الانفعال في هذا الوطن من مواطن الإثارة . عندئذ نوجد « نظاما » ، وإذا ما أوجدنا النظام فقد خلقنا الجمال ، وإذا ما خلقنا الجمال فقد قربنا بناء الفن . هذا التصميم الذي ندعو إليه ينظم هيكله العام أصول الأداء النفسي في الشعر والتصوير والموسيقى . هناك حيث تتوقف قيمة الفنان على مدى خبرته بتلوين الألفاظ والأجواء في الميدان الأول ، وتوزيع الظلال والأضواء في الميدان الثاني ، وتوجيه الأنغام والأصوات في الميدان الأخير . ولابد للأداء النفسي في الشعر من هذا « التصميم الداخلي » . لا بد من جمع أدوات العمل الفني وترتيبها في ذلك المستودع العميق ، مستودع النفس ، قبل أن ندفع بها إلى الوجود كائنا حيا مكتمل الخلقة متناسق الأعضاء .. إننا ننكر ذلك الشعر الذي تكون فيه القصيدة أشبه بتيه تنطمس فيه معالم الطرق وتنمحي الجهات ، أو أشبه بمولود خرج إلى الحياة قبل موعده فخرج وهو ناقص النمو مشوه القسمات !

هذه يا صديقي هي القيود المفروضة التي تتيح للفن كل معاني الحياة . أما تلك القيود الأخرى التي لا نرتضيها للفن لأنها تحد من حريته الطبيعية وحقه المشروع ، فهي تلك الصيحات التي تنطلق من بعض الأفواه منادية بربط الفن إلى عجلة المجتمع أو مزجه ، بأصول علم الأخلاق . وأصحاب المذهب الأول مفرقون

في الخطأ أو مسرفون في الوهم ، لأنهم يتخيلون أن المجتمع هو الحياة حين يتحدثون عن الصلة بين الفن والحياة ! إن مصدر الخطأ هنا هو أن الحياة في مدلولها اللفظي وواقعها المادي ، أوسع مدى وأشمل معنى من المجتمع الذي يريدون للفن ألا يفشر جناحيه بعيدا عن حماه .. إن المجتمع جزء من الحياه وليس هو كل الحياة ، ونضرب لذلك مثلا قصيدة من الشعر يصور بها الشاعر مجلى من مجالي الطبيعة أو نزعة « فردية » من نزعات النفس أو دقة « ذاتية » من دقات الشعور أليس كل جانب من هذه الجوانب التي تخرج عن دائرة المجتمع ، تعبيرا عن الحياة في وضع من أوضاعها الخاصة التي تفيض بالنبض وتزخر بالخفوق؟ إننا نستطيع أن نلتمس الحياة في شعر يتحدث عن الصحراء ، وفي قصة تدور حول معالم الذات ، وفي أدب معروف هو أدب الاعترافات ... وكل هذه الألوان الفنية لا تدخل في نطاق المجتمع الكبير ومع ذلك فهي تؤدي رسالة النقل عن الحياة كأصدق ما يكون الأداء !!

هذا عن أصحاب المذهب الأول ، أما عن أصحاب المذهب الأخلاقي في الفن فقد رددنا عليهم في مناسبة سابقة بكلمات للفيلسوف الإيطالي بندتو كروتشه ، وهي كلمات نؤمن بها كل الإيمان لأن فيها الحجة المقنعة والمنطق السليم .. وخلاصة رأي الفيلسوف الإيطالي في نقد المذهب الأخلاقي في الفن ، هو أن الفنان لا يمكن أن يوصم من الناحية الأخلاقية بأنه مذنب ، ولا من الناحية الفلسفية بأنه مخطىء ، حتى ولو كانت مادة فنه أخلاقا هابطة ! فهو - كفنان - لا يعمل ولا يفكر ، ولكنه يعبر ... إن فنا يتعلق بالأخلاق أو اللذة أو النقمة ، هو أخلاق أو لذة أو نقمة ولن يكون فنا أبدا !! ولئن كانت الارادة قوام الإنسان الخير فهي ليست قوام الإنسان الفنان ، ومتى كان الفن غير ناشىء عن الإرادة فهو في حل كذلك من كل تمييز أخلاقي .

بقي أن نقول للاستاذ الونداوي في مجال الرد على ما أورده حول قيود القافية في فن الشعر ، إن هذه القيود كما عرض لها حق لا شك فيه ، من ناحية أنها تفرض على الشاعر لونا من التعبير قد لا يرتضيه . ولكن الأستاذ قد نسي أن تلك القيود لازمة من لوازم الشعر ليكون شعرا ، له ذلك القالب الفني الذي يميزه عن قالب النثر ويشير إلى ما بين القالبين من فروق !

موسوعة عن الأدباء المعاصرين

... ...

أتشرف باطلاعك على كوني أقصد أن أطبع في أقرب وقت كتاب « المختارات » ، في ستة مجلدات ضخمة ، تحتوي قطعا نثرية وشعرية منتخبة لنحو ثلاثمائة من أشهر الأدباء المعاصرين ، في كل أقطار العالم العربي .

أرجو أن تتحفني بشيء من مؤلفاتك لإدراجه في كتابي ، مع صورتك الشمسية واضحة كل الوضوح ، وملخص سيرتك الأدبية ، أعني تاريخ ومكان ولادتك ، المدارس التي تهذبت بها ، جدول مؤلفاتك وأهم حوادث حياتك الأدبية .

أشكرك سلفا ، مع إهدائي لك فائق اعتباري ودمت .

رفائيل نخلة

« دير اليسوعيين - حلب - سورية »

ليس من شك في أن هذا العمل الذي يزمع أن يقوم به الأستاذ الفاضل رفائيل نخلة ، وهو إخراج موسوعة ضخمة عن أشهر الأدباء المعاصرين في العربية ، ليس من شك في أنه عمل يستحق الإعجاب من ناحية جدواه .. ذلك لأن جدوى الموسوعات الأدبية هي أنها تضع بين أيدينا خلاصة وافية لحياة من تعرض لهم من الأدباء ، مما يتيح للدارسين شيئا من العون حين يتشددون دراسة الانتاج الأدبي على ضوء تلك الحياة . أما تلك المتعة الأخرى التي يمكن أن يستشعرها القارىء وهو يتنقل بين قطع مختارة من الشعر والنثر ، فهي متعة تفسح مجالا لا بأس به لجمهرة المتذوقين والنقاد .

هذا هو رأينا في الموسوعات الأدبية بمناسبة هذه الرسالة التي تلقيناها من الأستاذ الفاضل .. ولكننا نحب أن نلفت نظره إلى حقيقة ليس إلى إنكارها من سبيل ، وهو أن الأستاذ مسرف في التفاؤل حين يتصور أن في الأقطار العربية ثلاثمائة من الأدباء ! لا يا سيدي ، إننا يجب أن نقيم الميزان للاديب الحق لا لكل أديب حمل قلما وكتب ... ومن هو الأديب الحق ؟ هو صاحب « المذهب » المعروف لا صاحب الإسم المعروف ، هو - في كلمة جامعة مانعة - صاحب الأصالة المبدعة لا المحاكاة الناقلة ... إذا نظرنا إلى الأدباء بهذا المنظار فلا مفر من أن يهبط الرقم الذي

الأدب والفن في أسبوع

من المحدثين في الوضع اللغوي :

يذكر قراء « الرسالة » المحاضرة القيمة ألقاها الأستاذ أحمد حسن الزيات في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية عن الوضع اللغوي وحق المحدثين فيـــه ، والتي انتهى فيها إلى مقترحات أحيلت إلى لجنة الأصول بالمجمع لدراستها في ضوء المناقشة التي جرت بشأنها . وأذكر الآن أن هذه اللجنة تقدمت إلى مجلس المجمع برأيها في تلك المقترحات ، وينحصر هذا الرأي في مقترحين اثنين :

الأول ناقشه المجلس وعدله ثم أقره على الوجه الآتي : تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، على أن يراعى في هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ولم يعرف لها مرادف عربي سابق صالح للاستعمال .

والثاني : قبول السماع بشرط أن يكون هذا السماع من كاتب أو شاعر ، أسلوبه العربي موضع الاطمئنان والثقة بمربيته مثل جيل بمعنى طبقة من الناس ، وزهور جمع زهر

ولما جرت المناقشة في هذا المقترح أدلى الأستاذ الزيات بالبيان التالي نصه : « يظهر أن بعد المسافة بين إلقاء المحاضرة وبحث المقترحات قد ألقى عليها ظلا من الغموض ، فان بعض الأعضاء لم يلحظ الفرق بين الوضع والسماع فأراد أن يجعلهما واحدا ، والمراد بالوضع إطلاق لفظ على معنى ابتداء ، وقد يكون الوضع بالارتجال كالأب والأم والبحر والأرض والجبل ، وقد يكون بالاشتقاق ككاتب وشاعر ومنشار ومفتاح وملعب ، وقد يكون بالتجوز كاطلاق السماء على المطر والغيث على النبات والقهوة على المكان الذي تشرب فيه ، وهذا الوضع بطرقه المختلفة كان يجري على قوانين مطردة نشأت من طبيعة اللغة وسليقة العرب وهذه القوانين هي ما نسميها بالقواعد والقياس ، ولكن المتكلمين لأسباب طبيعية أيضا يخالفون أحيانا هذه القواعد أو هذا القياس ، وهذه المخالفة هي ما سميت بالسماع ، والغرض منه مخالفة القياس في الاشتقاق أو النسب أو الجمع مثلا ، كقولهم يافع من أيفع والقياس موفع ، وأموي بالفتح في النسبة إلى أمية وأهلون وأرضون وستون وعشرون وبابه في جمعها جمعا مذكرا سالما . وقد كان هذا السماع كالوضع من حق العرب الأولين والمراد الآن إعطاء هذا الحق للمحدثين فنقبل منهم ما خالفوا القياس في لفظه أو خالفوا المماجم في مدلوله ، كقولهم مثلا من النوع الأول : « متحف » بالفتح والقياس الضم ، و « مقهى » بالفتح والقياس الضم ، و « ثلاجة » بدلا من مثلجة ، و « زهور » جمع زهر ، و « نوادي » جمع ناد والقياس أندية ، و « أحفاد » جمع حفيد والقياس حفدة ، و « طبيعي » في النسب إلى طبيعة والقياس طبعي ، و « بديهي » في النسب إلى بديهة والقياس بدهي ، و « طنطاوي » و « طهطاوي » في النسب إلى طنطا وطهطا والقياس طنطي أو طنطوي . و « قهاري » في النسب إلى قها والقياس قهوي . وكقولهم من النوع الآخر « جيل » لطبقة من الناس واللغة جنس من الناس ، و « فشل » للاخفاق واللغة الضعف ، و « السمك » و « السميك » للتخين واللغة : السمك بالفتح الرفع وطول الجدار من الأرض إلى السقف ولم

تتصوره من ثلاثمائة أديب إلى عدد لا يتجاوز أصابع اليدين !! معذرة يا سيدي فهذه هي الحقيقة ، ولكم نود أن تقنع موسوعتك بهذه الحقيقة لتظفر بما أشرنا إليه من جدوى الموسوعات الأدبية .

وعندما يوفق الأستاذ نخلة إلى اختيار هذا العدد الضئيل من الأدباء فلا بأس من أن يكتب إليهم من جـــديد ... وللاستاذ خالص الشكر على كريم تقديره .

رسائل أخرى من حقيبة البريد

لم تخل حقيبة البريد من عدد من الرسائل يدور موضوعها حول أمور شخصية ، وهذا اللون من الرسائل يؤسفنا ألا نستطيع التعقيب عليه ، لأننا نهدف من وراء التعقيب إلى الإجابة عن مشكلات الأدب والفن ، تلك التي تهم أكبر عدد من القراء .. فإلى أصحاب تلك الرسائل نعتذر ، راجين أن يقصروا أسئلتهم على المشكلات الأدبية لا الذاتية !

أنور المعداوي

٣٤٠٥١

يرد منه سميك ، و « صدفة » بمعنى مصادفة ، و « عائلة » بمعنى أسرة » .

وكان المجلس قد رد المقترح الثانى إلى اللجنة لإعادة بحثه . فنظرت اللجنة فى الموضوع وفى ذلك البيان ، ثم حملت الاقتراح كما يلى : « ترى اللجنة قبول السماع من المحدثين بشرط أن تدرس كل كلمة على حدتها قبل إقرارها »

ولما عرض ذلك على مجلس المجمع وافق عليه .

تعقيب

نرى أن النتيجة التى أخذ بها المجمع فى هذا الموضوع تنحصر فى المادتين اللتين أقرهما ، الأولى تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، على أن يراعى فى هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ولم يعرف لها مرادف عربى سابق صالح للاستعمال » والثانية : قبول السماع من المحدثين بشرط أن تدرس كل كلمة على حدتها قبل إقرارها » والتأمل فى العبارتين يرى مؤداهما واحداً ، وهو أن الكلمات التى يستعملها المحدثون يقبلها المجمع بعد دراستها ، وهذه « الدراسة » تحفظ يشبه التحفظات التى ترد فى التصريحات والمعاهدات التى تفرضها الدول الكبيرة على الأمم الصغيرة . فهى كلمة مطاطة ، يمكن استغلالها عند بحث كل كلمة ، فيقال مثلا إنها تخالف القياس أو إنها على غير معناها فى المعاجم ، وقد أبدى ذلك صراحة فى أثناء المناقشة الأستاذ ابراهيم مصطفى بك ، إذ قال « كان لى اعتراض على قبول كل سماع خالف القياس ولكن مادامت اللجنة قد قررت أن كل كلمة ستبحث على حدتها فإنى موافق على ذلك »

ويمكن أن يقال إن « السماع من المحدثين » هو كما فسره الأستاذ الزيات مخالفة القياس فى اللفظ والمعاجم فى المدلول ، ولكن هذا القيد أهمل فى القرار إهمالا اطمأن إليه الأستاذ إبراهيم مصطفى !

ويماثل الأمم الصغيرة فى ذلك « التحفظ » هذه الصيحات التى ترمى إلى تحرير اللغة وتطويعها لمقتضيات العصر ، على أساس أنها لغتنا التى ورثناها عن الأسلاف ولنا حق التصرف فيها بما ينميها ويجعلها تساير الحياة ، وليست « عينا موقوفة » يلتزم فيها شرط الواقف . وخدمة اللغة لا تكون بالتشدد فيها والوقوف بها عند الحدود الجامدة ، وإنما تكون بتسهيلها

حتى كون الأسبوع

□ وافق مجلس المجمع اللغوى على ما رأته لجنة الأدب به فى تنظيم المسابقات الأدبية لسنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، وهو كما يلى :

تخصص مائتا جنيه لكل من المسابقات الأربع الآتية :

١ — [illegible]

٢ — قصة تعرض لشكلة اجتماعية شرقية تكتب بلغة أدبية فصيحة فى نحو ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط .

٣ — ترجمة مستفيضة لواحد من اثنين : « أ » أحمد فارس الشدياق وأثره فى اللغة والأدب والمصطلحات . « ب » حسين المرصفى صاحب الوسيلة الأدبية والكلم الثمان وأثره فى اللغة والأدب .

٤ — اختيار كتاب قديم قيم لغوى أو أدبى لم ينشر من قبل ، يعد للنشر على النمط العلمى الحديث ، فيصحح ويضبط ويقدم له بمقدمتين فيه وأثره وطريقة تصحيحه والمصادر التى عول عليها فيه .

على أن تكون المسابقة الثانية عامة لمن يشاء أن يدخل فيها ، وأما سائر المسابقات فخاصة بمصر وسودانها .

□ اقترح معالى الدكتور طه حسين بك رئيس وفد مصر فى مؤتمر اليونسكو ، أن تعين هيئة اليونسكو مندوبا يمثلها لدى وزارة المعارف فى كل دولة من الدول الأعضاء ، وقد أيد مدير اليونسكو هذا الاقتراح ولكنه أعرب عن أسفه لأن ميزانية اليونسكو لا تسمح فى الظروف الحاضرة باتخاذ مثل هذا الاجراء .

□ جاء من مراسل الأهرام فى فلورنسا — حيث يجتمع مؤتمر اليونسكو — أن الوفود العربية مهتمة بمسألة نشر الكتب العربية فى أفريقية الشمالية . وقد أفضى معالى الدكتور طه حسين بك بحديث إلى المراسل قال فيه : فى اعتقادى أننا سنصل إلى تسوية هذه المسألة ، وكنت قبل مغادرتى مصر قد تحادثت مع سفير فرنسا فى هذا الصدد على أثر ما طلب إلى من مساعدة رسول من تونس فى شراء كتب عربية ، وقد سهلت لهذا الرسول مهمته ومهدت له زيارة مدارسنا وأهديت إلى تونس مجموعة من كتب وزارة المعارف ، وقد تحدثت فى أثناء زيارتى باريس مع المسئولين فى هذا الشأن ، وأعتقد أننا فى سبيل الوصول إلى ما يحقق غايتنا ، وأننا إذا كنا نفتح أبواب بلادنا للكتب الفرنسية فمن الطبيعى أن نطالب بتيسير إصدار الكتب المصرية إلى فرنسا والجزائر وتونس ومراكش .

□ ظهر فى انجلترا أخيرا كتاب جديد بعنوان « العمر العربى الحديث » يضم طائفة من القصائد مراء من مهاجرى العرب بأمريكا ، مترجمة إلى الانجليزية . وقد علق أحد النقاد

وتوسيع آفاقها ، لتكون لغة مرنة محبوبة . والتجارب تدلنا على أن التشدد لم يجد نفعا إزاء الاندفاع الذي يخضع للقوانين الطبيعية ، فكم نبه المنبهون وكم صحح المصححون دون أن يلتفت إليهم أحد ، فالتحدث لا ينطق إلا بالفتح ، ولم تتجنب الألسنة والأقلام الزهور والنوادي والأحفاد والفشل ... الخ ، فماذا يضير اللغة لو أقررنا هذه الكلمات وأمثالها مما شاع جريانه على الأقلام وا كتسب حق الحياة بكثرة الاستعمال ؟ على أننا رأينا مدلول الكلمة الواحدة قد تغير وتطور في العصور المختلفة ، فماذا لو أضفنا إليها مدلولا جديدا ؟

وهذا المجمع يعنى نفسه بالمصطلحات الطبية والعلمية وغيرها منذ سنوات، وقد وضع من ذلك كثيرا ، أكثره غريب ثقيل ليس من المنتظر أن تستعمله الجامعات والهيئات العلمية ، ولست أدري لماذا لا تظل هذه المصطلحات بأسمائها كما وضعها أصحابها ؟ ولماذا لا نسهل على كلية الطب مثلا بإقرار هذه المصطلحات كأعلام للأشياء التي وضعت لها على أن تكون الدراسة فيها باللغة العربية من حيث التعبير والتركيب المكون من الجمل

الصحفيين الانجليز على الكتاب بقوله : إن هذا الكتاب يظهر بوضوح كيف أن اللغة العربية أصبحت لغة عالمية واسعة الانتشار .

▫ كتب صديقنا الأستاذ كامل منصور في « مصري » يرد على أحمد صفوت باشا في قوله إن اللغة العامية لغة بسيطة لا تعبر عن المعاني والصور الأدبية الدقيقة ولا عن المشاعر الرقيقة الراقية ، ذاهبا إلى عكس ذلك ، قائلا بأنها قد تفوق الفصحى في كثير من الأحيان . وما أحسن ما فعل حين أبى أن يعبر عن رأيه هذا في عامية خالصة ، فلم يستطع أن يخلص كلامه من العبارات الفصيحة .. وما زلت أتحدى وأتحدى من يذهب مذهبه أن يكتب دفاعه عن العامية بالعامية .

▫ الأستاذ عمر النص شاعر سوري مجيد ، وقد أصدر أخيرا ديوانه « كانت لنا أيام » والأيام التي كانت هي أيام الهوى والشباب ، وهو يردد ذكرياتها وخلجات نفسه نحو « ليلى » ترديدا مشجيا يمتع القارىء بأحاسيسه وموسيقاه ، وإن كان يرى أن الديوان مقصور على الشاعر وليلاه وعيد حبهما الأولى . .

▫ رأيت في باب « اسألوني » بمجلة المصور ، سؤالا من « مستأدب » بالمملكة العربية السعودية عن دار نشر بمصر تطبع كتابا ألفه ، فنصحته محررة الباب السيدة أمينة السعيد بأن يعرض الكتاب على ناقد مصري ليبدي رأيه فيه ، حتى لا يصدم برفض من دار النشر . وهي فكرة لطيفة تتيح للنقاد المصريين الكسب من فحص الكتب المعدة للطبع . وما على الواحد منهم إلا أن يفتح مكتبا لذلك يكتب عليه « ناقد مصري ! »

▫ اعتقلت الشرطة اللبنانية الشاعر الشعبي اللبناني الأستاذ عمر الزعني بدعوى أنه وجه انتقادا في بعض أغانيه إلى السلطات اللبنانية .

▫ من أنباء أمريكا أن المرأة هناك بدأت تستخدم الكحل في تجميل عينيها ، وأنه قد ظهرت هناك أيضا طريقة جديدة تسهل على الأم حمل طفلها في أثناء قيامها بعملها ، وذلك بربطه إلى ظهرها ، وهذه الطريقة متبعة في السودان . فهل جاء دور الغرب في تقليد الشرق !

▫ لم تستفد الاذاعة المبلغ المعتمد للبرنامج في ميزانية العام الماضي ، وذلك خشية تحسين البرنامج !

▫ ارتكب أحد « الشعراء » ديوانا جديدا !

العربية مع الاحتفاظ بالأسماء كما هي ؟

وأنا لا أستطيع — بمقتضى البحث — أن أفهم لماذا نغير الأسماء وقد وضعها أصحابها عند ولادة مسمياتها فصارت أعلاما عليها . أليس من حق الوالد أن يسمي ولده بما شاء ؟ وكذلك الصانع والمخترع ، إننا لا نغير أسماء الأجانب الذين يأتون إلى بلادنا فلماذا نغير أسماء الأشياء التي ترد إلينا من الخارج ؟

وتبرز لنا هنا كلمة « التعريب » التي قالوا بأنها الملجأ الأخير لإدخال الكلمة الأجنبية في اللغة العربية ، جريا على ما فعله العرب في العصور المتقدمة . أريد أن أسأل : لماذا عرب العرب الكلمة المعربة ولم ينطقوها كما هي في لغتها ألم يكن ذلك ضرورة لسانية لعدم قدرتهم أو اهتمامهم بصحة النطق الأعجمي ؟ وقد كانوا يفعلون ذلك بأسماء الناس والبلدان وسائر الأشياء . أما نحن فإننا نهتم بنطق اللغات الأجنبية ونجتهد في إجادتها ، فلماذا إذن نعرب الكلمة الأجنبية ؟ وما هي الضرورة الداعية إلى ذلك ؟ ولماذا نقصر التعريب إذا كان له وجه على أسماء الأشياء دون أسماء الرجال والنساء والبلدان التي ننطقها

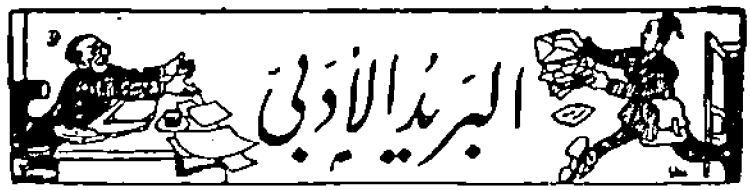

في النظم الجامعية

يحسب الناس — كما كنت أحسب مثلهم من قبل — أن أمر التعليم الجامعي الذي هو أرقى درجات التعليم المصري في بلادنا يسير على منهاج قويم لا عوج فيه لا من حيث المناهج والبرامج، فهذا ما ليس من حديثنا اليوم، ولكن من حيث النظم الادارية، ولكن من يدنو من كليات الجامعة ويذوق مرارة أعمالها يجد أنها تسير على نظم عقيمة لا تتفق مع الروح الجامعية في شيء، ويستيقن أنها وقد انقضى عشرات السنين على انشائها لا تبرح تتبع في النظم ما يتبع في المدارس الابتدائية !

فهذا طالب ينطق تاريخه الدراسي باجتهاده ونبوغه، لم يقبل بالطب البشري بالاسكندرية من أجل نصف درجة ! في علم لا يتصل بالدراسة الطبية في شيء، فشق عليه ذلك، وما كاد يعلم ان الدراسة الاعدادية بكلية طب قصر العيني عامة للبشري والأسنان معاً، وأن توزيع الطلبة فيها سيجري حسب ترتيب النجاح في امتحان هذه الدراسة حتى سارع إلى التحول إليها، ليزاحم بمنكب الجد طلابها، ولم يقنع في امتحان هذه الدراسة بأقل من درجة (جيد جدا) وهي درجة لم ينلها معه الاقليل، ومن ثم أيقن أنه بهذا التفوق قد أصبح له الحق كاملا في دراسة الطب البشري.

ولكن ما كان أشد دهشته لما وجد أن هذه الكلية تحول بينه وبين هذه الدراسة، وهاله أن يراها وهي نصبه — على تفوقه — عن هذه الدراسة قد أتاحتها للمتخلفين وراءه في النجاح من زملائه حتى الذين لم يستطيعوا أن ينالوا الأدرجة مقبول ... وما كان هذا الظلم والمنت لا لأنه كان بزعمها مقيداً بالاسكندرية على طب الأسنان — أي قبل أن يحول إليها ! كأن حسن اسلامه وصالح أعماله لم يضعا عنه وزر الجاهلية ولا اغلالها !! وتلقاء هذا المنت والظلم لم يجد ملاذا يفزع إليه الا أن يلجأ إلى مجلس الدولة لكي ينصفه في هذا الظلم المبين.

وهؤلاء طلاب من مختلف الكليات يبلغ عددهم مئة أو يزيدون تمنعهم كلياتهم من أداء امتحانهم بحجة عدم حصولهم على نسبة الحضور التي جعلتها نظمها شرطاً لأداء الامتحان كأنهم لا زالون أطفالا لا يختلفون إلى دروسهم إلا بعد أن ينتظموا طوابير في دخولهم وخروجهم !

هذه أمثلة من النظم الادارية التي تتبع في كليات جامعتنا المصرية في القرن العشرين ! وكأن الله لم يرد أن يذر أمر هذه الجامعة الكبيرة على ما هي عليه من تلك النظم العتيقة والقيود البالية فقيض لها أخيرا رجلا أوفى على الغاية في فقه العلوم القانونية وبلغ درجة عالية من الثقافة الذاتية ذلك هو الدكتور محمد كامل مرسي باشا فانه ما كاد يتولى أمرها حتى انشأ يعمل بعقله الراجح وفكره الثاقب على صلاح نظمها وتقويم ما أعوج من لوائحها لكي تتبوأ مكانها الذي تستحقه بين جامعات الأمم. فتراه مثلا ما كاد يعلم بأمر هذا الطالب الذي ذكرنا أمره حتى عز عليه أن ينظر أحد غيره في شأن من شئون الجامعة أو يفصل في أمر من أمورها وأسرع فأقام نفسه مقام مجلس الدولة في الفصل في قضيته وبخاصة فانه قد كان من قبل رئيسا لهذا المجلس، ولما

كما هي ولم يفكر أحد أو لم ير أحد موجبا لتغييرها بتعريب أو غيره ؟

إن حياة اللغة في تراكيبها وجملها، وليس بضيرها، بل يفيدها أن ننطق ونكتب الأسماء والأعلام والمصطلحات الأجنبية كما وضعها أصحابها، فاذا قلت سمعت الراديو، أو تحدثت بالتليفون، أو قدم المستر سميث : من لندن، فانك تتكلم كلاما عربيا فصيحا لا شك في ذلك. ومن الصور العجيبة والمضحكة لذلك التشدد في اللغة، أن معلم الانشاء في المدارس لا يقبل من التلميذ أن يكتب الراديو والتليفون والسينما، فاذا وجدها في الموضوع بدل بها المذياع والمسرة والخيالة. ووزير المعارف الحالي معالي الدكتور طه حسين يكتب الراديو والتليفون والسينما، فهل يخطيء التلميذ إذا كتب مثل وزير المعارف ؟

عباس مصطفى

الضمير . . .

للأستاذ كمال رستم

كانت له في كل يوم معركة مع ضميره . وقد ألف ان يخرج منها وهو مثخن بالجراح . انه كان يحرص دائما على أن يظل عامرا ما بينه وبين الله ، وعلى أن يظل عامرا مابينه وبين ضميره . وهل الضمير إلا الرقيب الإلهي في الانسان ! كل يوم كما خلا إلى نفسه كان يقف خاشعا بين يدي هذا الرقيب كأنه في صلاة ويجلد لحسابه العسير الشاق ويترضاه . ولكم سكب في سجدة التقى والورع من الدموع يغسل بها قلبه ويطهره مما علق به من الآثام والأوضار . وما كان يبكي بعينيه حسب ، بل ألف قلبه أن يبكي أيضا . وكان قانعا في عزلة روحه المؤمنة بعيدا عن ضباب الشهوات . ولكنه لم يكن سعيدا . ومتى أدت القناعة [illegible] ؟

ولكن الصلة التي بينه وبين الله تعرضت آخر الأمر لامتحان رهيب . إنه منذ نزل على ارادة أمه ، وبنى بالزوجة التي تخيرتها له ، وهو يجتر الألم ، ويحتضن الأفكار السود ! بدا له أنه ودع حياة السعادة والأمل إلى غير رجعة ؛ وأنه تناول بيده الراعشة الكأس التي مزاجها علقم وصاب ؛ وأفرغها في جوفه ! وأحس بعد حدرها أن بينه وبين الله بعيد بعد ما بين السماء والأرض . ولم يعد يجد في وحدته الشاعرة فردوسه المفقود . بل رأى بعينيه ريح الشهوات وهي تكاد تعصف بغرسة إيمانه . وأخرجت الذاكرة أحزانها كلها ونثرتها بين يديه ! ذكر أنه لم يستشعر لزوجه أضعف الحب ؛ وذكر أنه حاول أن يروض نفسه على حبها ويرضى بنصيبه المقدور . ولكن ذهبت محاولاته كلها قبض الريح ! فإن زوجته لم تكن حتى على الجانب اليسير من الجمال .

وإنه لذلك ثابت يضبط في كل دقيقة نظراته المذمومة ؛ متلبسة بجريمة اشتهاء ونطلع . أو ليس إنسانا قبل كل شيء ! لقد حاول منذ تزوج أن يقتل الانسان فيه ليظهر الملك ! وأن يقطع صلته بالأرض ليصل بالسماء . ولكم يعاوده الجهد من جراء ذلك ولم يبلغ أربا .

وكل ما ناله أنه لم يعد في الناس واحدا منهم ، ولم يرق إلى السماء ليصبح من أهلها . وآذاه أن يعيش هكذا حائرا بين المنزلتين ونازع نفسه التحرر من هذا الرقيب وأن يقضي في نفسه وطرا .

فتعب عيناه من جلال هذا الجمال الماضي ويقبس

درس هذه القضية وتبين له حق هذا الطالب واضحا قدم أمره إلى مجلس الجامعة الأعلى فأقر بالاجماع هذا الحق وبذلك حفظ مستقبل هذا الطالب المتفوق ، ولو أن غير هذا العالم الجليل في منصب مدير الجامعة لسكت عن قضية هذا الطالب واسوغ سكوته أن الأمر قد أصبح بين يدي القضاء .

أما هؤلاء الثلة من الطلاب فقد رأى هذا العالم الجليل أن من الظلم أن يضيع عليهم ماحصلوه من علم لأمور شكلية وقضى بحكمته أن يؤدوا امتحانهم أسوة بسائر زملائهم .

وقد جرى بيني وبين هذا العالم الحجة حديث في أمر هذا الطالب خاصة وأمر هؤلاء الطلبة عامة فكان من كلامه أن من الظلم البين أن يحرم طالب متفوق مثله ثمرة جده واجتهاده ، وما شأنه بالاسكندرية وقد انقطعت صلته بها فدرس بالقاهرة مناهج غير مناهجها على نظم مغايرة لنظمها ؟ ولو نحن هضمنا حقه لقضينا على مستقبله ولعقدنا عقدة نفسية عنده تظل طوال حياته تعتاده

هؤلاء الطلبة كيف نمنعهم من أداء امتحانهم وقد أذنا للممتازين من اخوانهم أن يؤدوا امتحانهم تحت حراسة الجلاوزة؟

هذا بعض ما سمعته من حديثه ؛ القيم وإنا بعد ذلك لنرجو مخلصين أن يوفق الله هذا العالم الجليل في كل مايبتغيه من صلاح لهذه الجامعة في نظمها وعلومها حتى تبلغ المكانة اللائقة بها

اعتذار

وقع في البريد الأدبي بالعدد الماضي خطأ واضطراب حق أنعم فيه مالبس منه وبخاصة في الكلمة التي نشرت عن كردعلي فنعتذر منه ونرجو ألا يتكرر.

محمود أبو ريه

و منه قبسا ... وكان يجد نفسه فى غير وعى ولا إدراك يقابل بين زوجه وبين ما يصادفه من النساء الجميلات ويخرج من المقابلة وقد أيقن أنه إنما يعيش على هامش الحياة ... وكانت نظراته الراغبة تبدأ من الشعر المقوص ولا تزال تنحدر على الجسد البلورى حتى تفنى مع القدمين الجادتين فى السير ! ويعود من رحلة بصره وقد أحس برسيس الحرمان ومضاضة الألم ، ويكاد يكفر بالقيم الخلقية التى يمرن بها نفسه... وتخيل إليه أن السبيل الوحيدة إلى التخفف من آلامه المضة أن يلقى بنفسه بين ذراعى امرأة !

ولكنه لم يفعل ذلك فإن الحارس الضمير كان لا يغفل أبدا . كان يرصد سيئاته ويحاسبه على النظرة النهمة حتى ترتد منيبة مكفرة ...

... حتى كان ذلك اليوم الذى شعر فيه أن الخواء الذى رافق حياته قد صاحبه عقم زوجه ! لقد كان وكده أن يكون أبا ... وأن تعزبه الأقدار عن حياته المنقبضة إلى جانب زوجه بطفل يؤنس وحدة روحه ! ويسكب فى حبه له عصارة الحنان الأبوى الذى لم تتدفق منه قطرة !

ولكن هذه الأمنية لم تشأ الأقدار كذلك أن تهادنه فيها . ويا لها من سخرية ـ قوضت حياته وأطلعته على الجدب الذى يمرع فيه ! ويا لنطق الضمير حين يتكلم فيه معتذرا عن زوجه بأن عقلها إن هو الا ارادة عادلة وحكمة كبرى ليس للعابد القانت أن يناقش فيها أو يجادل . ولكنه كفر لأول مرة بمنطق الضمير . وراح يتلمس السبيل إلى الثورة المجنونة التى لا تبقى ولا تذر ! لقد منى بزوجة عاطل من الجمال ، وكأنما لا يكفى هذا ! أبت الأقدار الا أن تصيب الزوجة كذلك بالعقم والجفاف لتكمل مصيبته ! .. ولكن الله أورثه الفرج من الضيق . وحرك بفيض كرمه الجنين فى أحشاء الزوجة ..

وها هو ذا ... ينتظر بين دقيقة وأخرى · أن تصافح عيناه وجه طفله الأول . لقد أطل على زوجته منذ لحظات . واستملى من وجهها نظرة عابرة وهى راقدة فى الفراش محرورة الجسد ، منهوكة القوى ... مهدومة ا.. ورآها وهى تجالد آلام الوضع المبرحة ... وتمم وهو لا يقوى على أن يصعد إليها بصره :

— يا لها من بطلة !

وتزاحمت الصور فى رأسه ، وبرزت من بينها صورتها منذ تحلل بها المرض ولزمت الفراش . لقد ألف أن يراها تعانى فى صمت ... لا تشكو ولا تألم . فقد كان يرى فى عينيها الجهد حكاية الألم كلها مختصرة فى نظرة ! . ولشد ما قاسى وقتئذ من وخز الضمير ... حتى ود لو يستطيع أن يهرب من نفسه ويتنحى عن هذا الضمير فى مكان بعيد ..

.. وأخرجه من تأملاته المطرقة صوت الخادم تنبئه بأن زوجه بعثت بها فى طلبه .. ومضى إلى غرفتها وهو يتعثر فى خطواته ؛ ورسمها تقول فى صوت كأنه من فرط الأعياء همس :

— إنى أتألم ..

... وأجابها وهو يتلمس صوته :

— تشجعى ... سأحضر الطبيب !

وارتد عنها إلى غرفته وارتدى ملابسه وخرج !

وصحبته أفكاره طول الطريق ... وقفزت زوجته إلى رأسه ... واستعرض على ناظريه حياته الشقية معها ... ذكر أنه لم يكن يحيا معها إلا بجسده فقط ، فإن روحه كانت تعانق أشباح أحلامه !

وآخته حيرة مضنية حينما فطن إلى ما هو بسبيل أن يفعله ... أو ليس هو فى طريقه إلى الطبيب ليسهل لزوجه وضع طفل يربط حياته بها إلى الأبد ؟

— الطفل !

أولم يكن وكده أن ينجب طفلا يؤنس وحدته ؟ فما باله لا يهتز الآن لقدمه ولا يطرب ؟ وأحس بكل شىء يتنائب من حوله . حتى خطاه تثاقلت هى الأخرى وتقاربت حتى كأنه لا يمشى وغافلته خاطرة فذة إندست بين خواطره لها همس حبيب

— لو أن زوجه تموت فى هذه اللحظة !

... وعبثا جاهد فى أن يتحرر من هذه الخاطرة الجديدة التى سكنت رأسه! ورأى نفسه بعدها وقد استسلم للشعور واقد حبيب ...

— نعم لو أنها تموت! ... إذن لتزوجت بعدها من فتاة سابية الحسن آسرة الجمال !

.. وكان قد بلغ منزل الطبيب فرد عنه أفكاره ... وعاد به إلى اليوم

وتقدم الطبيب من فراش المريضة ووقف هو على رجع البصر منها يثنى إليها نظره ... رآها كما تركها راقدة فى الفراش لا تقوى على حركة، فى وجهها الألم، وفى عينيها أثر السهاد والأرق، وفى شفتيها زرقة رهيبة ... وكانت تتنفس بصعوبة حتى خيل إليه أنها عدمت النفس ... وشاءت أن تتكلم ، الا أن الكلمات ماتت: شفتيها وتمتم على ترى ماذا تريد أن تقول؟ وأحس كما لو كانت نظراتها أغلالا تطوق عنقه ... وأن جو الغرفة لم يعد صالحا لتنفسه فتسلل هاربا إلى غرفته! ووقف وراء النافذة ! وكان الهواء ساكنا فلم يرعش أوراق الأشجار القائمة على حفافى الطريق ... والقمر فى مستقره السماوى يبعث إليه أرسالا من النور ... واشعل دخينة راح ينفث دخانها ... وقد بدا له كل شىء الآن فى إطراقه الصمت والسكون ... حتى تفكيره كان هادئا ساكنا فلم تبرق فيه فكرة ، وأخرجه من هذا الصمت الذى أن على المكان صوت الطبيب يدعوه ـ فمضى إليه ، وتهادى إلى أذنيه صوته وهو يقول :

— ينبغى أن أصارحك بان الوضع عسير جدا . وأنا بين اثنتين إما أن أضحى بالطفل لأنقذ الأم ، وإما أن أضحى بالأم وأنقذ الطفل . وقد رأيت التمس عندك صواب الرأى .

وشاعت الفرحة فى قلبه فقد استجابت السماء آخر الأمر دعاءه وتسلف النظر إلى الأمام فتخايلت لعينيه حياته الجديدة الموهوبة . وأنصت إلى هاتف من أعمق قلبه يهتف به .

— قل :أنقذ الطفل . أو ليست هذه هى الفرصة الموهوبة التى ابتهل على انتظارها الشهور الطوال . أو لم تكن تتشهى منذ لحظة أن يعجل الله بوفاتها لتنطلق من إسارها لتبنى بعدها بمذراه جميلة . تطارحك الحب — قبل أنقذ الطفل عنك ناسية السعادة وتحقق غارب أمانيك . وصعد إلى الطبيب رأساً أثقله الفكر وقال : سيدى .. أنقذ الأم !

كمال رستم

(١) ن فى قصتى الفتاة يسيرة إلى قصة « قلب الرجل » للكاتب الايطالى جيورجيرى كونترى .

ادارة البلديات العامة

قسم الكهرباء

تقبل العطاءات بمجلس كفر الزيات البلدى حتى ظهر يوم ٥ يوليو ١٩٥٠ عن توريد عدادات كهربائية تيار مستمر وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس نظير مبلغ ٥٠٠ مليم خلاف أجرة البريد .

٥٠٨٨ .

إدارة البلديات العامة

مجاري

تطرح بلدية دمنهور بالمزايدة العامة بيع سماد بودريت وتحدد ظهر ٢٨ / ٦ / ٥٠ آخر موعد لقبول العطاءات . وتطلب الشروط من بلدية دمنهور نظير ثلاثة مليم بخلاف أجرة البريد . ٥٠١٣